# أريك

ديـــوان الثقـــافتين العربيـــة والأرمنيـــة

عدد رقم ١٠٠ أبريل ٢٠٢٥ السنة الخامسه عشرة




## العدد المئوي

## الذكرى ١١٠ للإبادة الأرمنية




نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير:
د .علي ثابت صبري

سكرتير التحرير:
أ .عطا أحمد درغام

العنوان: 26 ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة
تليفون: 22916444 (02)

رابط مجلة أريك الإلكتروني:
https://me-qr.com/l/ArekArabic




رقم الإيداع: 2010/18374

| المحتويات | الصفحة |
|---|---|


السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية:

الاسم :.............................................................................................................

المهـــنـــة:...............................................................................................

العنـــوان : .......................................................................................................

البريد الإلكتروني : ..................................................................................................

التليـــفـــون : ...................................................................................................



بقلم:د.على ثابت

# العدد المئوى
# ومازالت شمس أريك تستطع

منـذ أن تـم إصـدار العـدد الأول من مجلـة أريك (ديوان الثقافتيـن العربيـة والأرمنيـة) عـن جمعيـة القاهـرة الخيريـة الأرمنيـة العامـة فـي أبريـل ٢٠١٠ برئاسـة تحريـر أ.د محمـد رفعت الامام وسـكرتيراً للتحريـر أ. علـى ثابت صبـري، فقد انتهجت أسـرة تحرير المجلة استراتيجية مرتكـزة علـى تعزيـز أواصـر الصداقـة بين الشـعبين العربـى والأرمنـى كشـعوب حضاريـة أصيلـة فـي المنطقـة وكذلـك توضيـح أبعـاد القضيـة الأرمنيـة برمتهـا ، ودور الأرمـن فـي مجتمعـات المهجـر، ومـدي تأثيرهـم الإيجابـي فـى هـذا الإطـار.

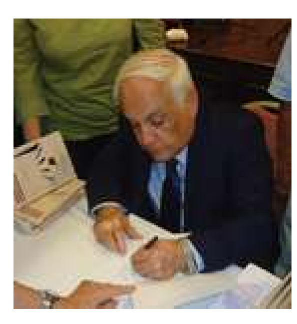
وتنوعـت الموضوعـات التـي نشـرت للقـراء مـا بيـن ثقافيـة واجتماعيـة وحضاريـة وتاريخيـة، ممـا جعلهـا أحـد بيـوت الخبـرة فيمـا يخـص الثقافـة و التاريـخ ، واسـتطاعت المجلـة منـذ إصدارهـا وحتـى عـام ٢٠١٩، أن تغطـى أحداثـاً مهمـة وفاصلـة مـن قبيـل مئويـة الإبـادة الأرمنيـة ، وفتحـت أبوابهـا أم الكتـاب المصرييـن والعـرب والأرمـن للكتابـة الموضوعيـة الدقيقـة، فأثـرت بشـكل مباشـر فـى توضيـح حقيقـة مـا جـري للأرمـن علـى أيـدي الأتـراك، وكذلـك اسـتطاع العقـل الجمعـي المصـري والعربـي تكويـن صـورة واقعيـة عـن ماحـدث للشـعب الأرمنـي، والدوريـن المصـري والعربـي تجـاه تلـك الفاجعـة. وفـي عـام ٢٠١٩، تغيـرت أسـرة تحريـر المجلـة لتصبـح، د.علـى ثابـت صبـري رئيسـاً للتحريـر ، والأسـتاذ عطـا درغـام سـكرتيراً للتحريـر ، واسـتمرت المجلـة علـى ذات سياسـتها فـي رصـد الموضوعـات التـى تهـم جمـوع المثقفيـن المصرييـن والعـرب والأرمـن ، وبـدأت فـي طـور جديـد لمناقشـة القضايـا المعاصـرة، فكانـت صفحـات مجلـة أريـك منبـراً لعـرض مشـكلة ناجورنـو كارابـاخ ( آرتسـاخ) ووجهـت العديـد مـن النـداءات للمجتمـع الإنسـانى فيمـا يخـص هـذه المشـكلة، وحـذرت مـن حـدوث إبـادة جديـد اللأرمـن فـي القـرن الواحـد وعشـرين .

كذلـك أضافـت أسـرة التحريـر إجـراء حـوار كل عـدد مـن أحـد الشـخصيات الأرمنيـة المؤثـرة فـي المجـالات الثقافيـة والفنيـة والسياسـية فـي إطـار تعـاون الشـعبين المصـرى والأرمنـي والتاريـخ المشـترك، كذلـك فـإن أسـرة تحريـر مجلـة أريـك تتوجـه بالشـكر والتقديـر إلـي جمعيـة القاهـرة الخيريـة الأرمنيـة العامـة لرعيتهـا هـذا الوعـاء الثقافـى المهـم ، ونعـد القـراء الأعـزاء بمواصلـة المسـيرة نحـو لعـب دور مهـم فـى الحقـل الثقافـي ، وتقديـم موضوعـات تعـود بالنفـع علـى القـراء فـي معرفـة معلومـة أو حادثـة أو رأى أو فكـرة.

## مجلة أريك والقراء

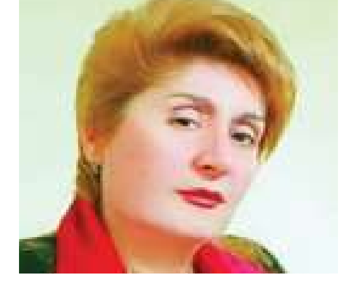
بمناسـبة صـدور العـدد المئـوى لمجلـة أريـك ديـوان الثقافتيـن العربيـة والأرمنيـة، تواصلنـا مـع القـراء الأعـزاء علـى مسـتوى العالـم لإبـداء أرائهـم فـى محتـوى المجلـة والرسـالة التـى تُقدمهـا وجاءتنـا الـردود علـى نحـو ماهـو آتـى : -

**السيد الفاضـل الدكتـور علـي ثابـت صبـري رئيـس تحريـر مجلـة أريـك الغـراء تحيـة تقديـر واعتـزاز،**



**المهندس هامبرسوم أغباشيان**

بقلم المهندس هامبرسوم أغباشيان ، مؤلف وكاتب وباحث في الشؤون الأرمنية، في ١١ مارس / آذار ٢٠٢٥ ، لوس أنجلوس – الولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة صدور العدد (١٠٠) من مجلة أريك الغراء، أتقدم بالتهنئة الحارة لكم بمناسبة هذا الحدث المتميز والفريد متمنيا لكم دوام الصحة والنجاح ولمجلة أريك دوام التقدم والرقي. إن لمجلة أريك الغراء دور متميز في التوعية والتثقيف وتنوير الأجيال الجديدة، وهي مجلة رائدة ومتميزة في مجال عملها وإحدى الركائز الإعلامية والثقافية . فهي مصدر موثوق بصدق وأصالة المواضيع التأريخية والثقافية والمواضيع المتعلقة بالإبادة الأرمنية والمواضيع العامة التي تنشرها. إن صدور العدد (١٠٠) من مجلة أريك الغراء جاء متزامنا بالذكرى (١١٠) للإبادة التي تعرض لها الشعب الأرمني على أيدي العثمانيين عام (١٩١٥) ، هذه القضية الوطنية والإنسانية التي تبنتها مجلة أريك مشكورة خلال مسيرتها الطويلة، والقت الضوء على المآسي التي تعرض الشعب الأرمني وفضحت مزاعم الاتراك احفاد العثمانيين. تحية خاصة بهذه المناسبة للأستاذ الفاضل الدكتور محمد رفعت الإمام لرفده الوسط الثقافي العربي والوسط الإعلامي والمكتبة العربية بمواضيع تتعلق بتاريخ الأرمن والابادة الأرمنية. وتحية وشكر خاص لسكرتير التحرير الصديق الأستاذ عطا درغام على جهوده وكتاباته ولقائاته مع الشخصيات المتميزة وهو حلقة الوصل بين مجلة أريك الغراء وبيننا نحن مجموعة من المثقفين والمتابعين الأرمن. وختاما لكم منا ألف شكر وتقدير.



**روزان أساتريان**

**(شاعرة وصحفية-أرمينيا)**

مع حبي... هيئة التحرير، قرائي الأعزاء، أهنئكم بحرارة بمناسبة مرور مئة عام على صدور مجلة «أريك»، متمنيَة لكم جميعًا قلمًا مثمرًا، وقوةً ونشاطًا للمجلة، وآلافًا من القراء الداعمين. لتكن صفحات المجلة مزينة بشهادات صادقة عن أبناء الشعوب العربية والصديقة الأوفياء، ولتكن صفحاتكم زاخرة بمقالات خالدة تُجسّد العدل والخير والقيم الثقافية الوطنية وهويتكم. لطالما غمرني التعاطف مع الشعب العربي المصري، وارث العصر الذهبي التاريخي، ويشرفني أن أملأ العدد الشرفي المئة بمقابلتي. أحبكم...





**د.عدنان الخالدي**

أستاذ مساعد التاريخ الحديث كلية الإمام الكاظم - العراق مجلة اريك التي تصدرها جمعية القاهرة الخيرية الارمنية،إحدى المجلات المهمة التي تضمنت مواضيع تاريخية وثقافية واجتماعية وفكرية، قدمت بدقة تفاصيل كبيرة عن الابادة التي تعرض لها الارمن من قبل الدولة العثمانية، كما عملت على نشر مقالات عن أحداث تاريخية وعادات اجتماعية أرمنية ومصرية أيضا. ساعدت المجلة القارئ على فهم أوسع لتاريخ الارمن، وعززت من وعيه في مواضيع مصرية وأرمنية كثيرة.

تميزت المجلة أيضا بتنوع افكار كُتابها وحواراتهم مع الشخصيات المهمة ومدت المجلة جسور التقارب بين الثقافتين الأرمينة والعربية، والحفاظ على الهوية الثقافية الأرمنية وتعزيز الوعي بالتاريخ والتراث الأرمني والتشجع على الحوار والتفاهم بين الشعوب المختلفة. بالإضافة إلى ذلك، تقدم المجلة مقاطع عن حياة الأرمن في الشتات وحفظ الذاكرة الجمعية للأرمن..تعد «إريك» واحدة من أبرز المجلات الأرمنية التي تجمع بين الأصالة الثقافية والحداثة الفكرية، وتستمر في كونها منصة هامة للكتاب والمفكرين الأرمن. من خلال اهتمامها العميق بتاريخ وثقافة الشعب الأرمني، والمساهمة في تعزيز الفهم المتبادل بين الثقافات والحفاظ على الذاكرة الجماعية للأمة الأرمنية في كل مكان.

**كيغام بابازيان- تورونتو ، كندا**



في الذكرى المائة لنشر مجلة أريك ، أود أن أهنئ رئيس التحرير، د.على ثابت صبرى و سكرتير التحرير، السيد عطا درغام لدورهم المهم وعملهم الاستثنائي في تقديم الثقافة والتاريخ الأرمنية والعربية للجمهور المصري.

في الذكرى المائة لنشر مجلة أريك ، أود أن أهنئ رئيس التحرير، د.على ثابت صبرى و سكرتير التحرير، السيد عطا درغام لدورهم المهم وعملهم الاستثنائي في تقديم الثقافة والتاريخ الأرمنية والعربية للجمهور المصري.



**أوميد خطاب.السليمانية . اقليم كردستان**

.

باحث في تاريخ الاقليات في الدولة العثمانية مناسبة اصدار العدد١٠٠ من المجلة اريك ابارك جميعآ المؤرخين و الباحثين بالنسبة لي لقد استفدت كثيرآ من المواضيع التاريخية حول التاريخ الارمني في الدولة العثمانية.وكباحث استعنت بالعديد من المقالات .



**الأستاذ الدكتور هشام بشير**

استاذ العلاقات الدولية والقانون الدولي ووكيل كلية السياسية والاقتصاد للدراسات العليا والبحوث بجامعة بني سويف المجلة تمثل اضافة رصينة ومهمة في التعبير عن الثقافة الأرمنية التى ساهمت بشكل مهم في الثقافة المصرية حيث ساهم الكثير من الأرمن في تشكيل جزء أصيل من السياسة والثقافة داخل مصر ، وستظل المجلة تلعب دورها في مد أواصر التعاون بين مصر وأرمينيا على كافة المستويات والأصعدة.



**المخرج إبراهيم الشوادي مصر**

مجلة ذات قيمة عالية تلقي الضوء علي ثقافه بلد أرمينيا التي عانت كثيرا من جيرانها، وسعيد جدًا بأن مصر الحبيبة فتحت أبوابها للكثير لحمايتهم من غدر الحروب ومعاملتهم كأبناءها، كما أنها تتناول ثقافة مصر لتعريف الشعب الأرمني بها مما يزيد من تعميق العلاقات بين البلدين فتحيه للقائمين عليها ومزيداً من نشر الموضوعات التي تدعم ذلك فكل عام وانتم بخير ومزيدًا من النشر والعمل علي نشرها في أرمينيا



**سيبو انترانيك**

**سركيسيان – العراق**

باسمي وباسم الأرمن في العراق أتقدم بخالص التهاني إلى كادر ومحرري والعاملين في مجلة أريك بمناسبة صدور النسخة رقم ١٠٠ للمجلة، والتي لطالما نشرت عن مدى نضال وكفاح النساء الأرمنيات في القديم والحاضر ومدى معاناتهن في سنين الإبادة الأرمنية على يد العثمانيين المجرمين ولذا نتمنى لمجلة اريك كل النجاح والتوفيق.



**توماس جورجيسيان الولايات المتحدة الأمريكية**

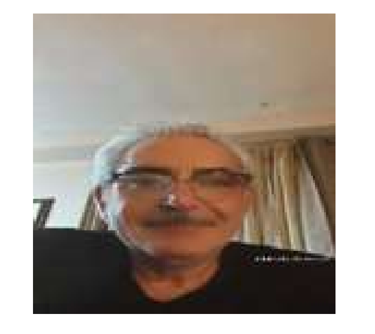
تحية إلى الأستاذ علي ثابت والأستاذ عطا درغام وكل من ساهم ويساهم في تحرير أريك وإصدارها وفي تسليط الأضواء على الأرمن وثقافتهم وتاريخهم مبروك

**الشاعر..ليفون بلبوليان**
**..أرمينيا**



تحية وتهنئة لجمعية القاهرة الأرمنية التي عملت علي خلق جسر تواصل من جسور الفكر للتقريب بين الثقافتين العربية والأرمنية..كما أهنيء الدكتور علي ثابت رئيس التحرير والأستاذ عطا درغام الذي اتاح لي فرصة تعريفي للقاريء العربي لأول مرة علي صفحات أريك بمناسبة ذكري مولدي الخامسة والسبعين ونشرت الحوار في أعرق الصحف الصادرة في أرمينيا..من بلد تيجران العظيم وزهراب واساطين الفكر الأرمني أرسل تحياتي لكل القائمين علي المجلة والي الشعب المصري الصديق..

**فاسكين كارمويان.كندا**



باسمي وباسم كل الأرمن في كندا أرسل خالص التهنئات لجميع القائمين علي محلة أريك بمناسبة صدور العدد رقم ١٠٠ فكانت خير منبر للتعبير عن الأرمن في كل مكان..كما كان لها الفضل في القاء الضوء علي الأرمن في كندا..وكذلك لا ننسي فضلها في دعم القضية الأرمنية..رسالة حب وتقدير

## الذكري ١١٠ للإبادة الأرمنية( أتذكر وأطالب)

تمر السنون وتستمر المأساة ولا حياة لمن تنادي، مازالت الإدارة التركية مصرة على عدم تصالحها مع تاريخها ومتناسية أن الجريمة لا تسقط بالتقادم، بل أكثر من هذا، استمرت فى نهجها الدموي والإقصائى تجاه الأرمن فى ناجورنو كاراباخ . ورغم الاعترافات التاريخية من دول مختلفة عبر العالم، منها من كان قد شارك وقد اعترف بتولى مسئوليته تجاه النتائج وعلى رأسها ألمانيا، كذلك كان هناك اعترافات من شهود العيان من قبيل ( بريطانيا – الولايات المتحدة- فرنسا- النمسا- روسيا..إلخ) .

إلا أن سياسة الإنكار التركية مازالت مستمرة، بل تسعى أيضاً لتشويه معالم القضية تاريخياً بهتناً وزوراً، ولعل جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة ، قد لعبت دوراً مهماً ، حيث أصدرت ١٢ مجلداً عن القضية الأرمنية فى الصحافة العربية والمصرية (١٨٧٨-١٩٢٣) ، جمعت فيهم كل ماورد عن الأرمن والقضية الأرمنية، وهذا ليس بجديد على مصر، فقد احتضنت مصر الأرمن فى اصعب الظروف، وتباينت المواقف الرسمية والشعبية تجاه القضية الأرمنية والشعب الأرمني.

لذلك فسوف تستمر جهودنا للتنديد بأن ما حدث للأرمن على يد الأتراك عام ١٩١٥ م هو إبادة جماعية كاملة الأركان ومستوفية الشروط ، لذا، سيظل الدم الأرمنى يُلاحق الأتراك حتى تعترف تركيا بما اقترفته تجاه الشعب الأرمني ، وعلى هذا النحو، لابد أن يضطلع المجتمع الدولى بمسئوليته فى حماية الإنسانية، وإلا فاستمرار المجازر التركية فى شمال وشرق سوريا أمر طبيعي، طالما أن تركيا بمأمن عن الحساب.



## القضية الأرمنية في الذاكرة العربية
## ١٨٧٨-١٩٢٣
## مرآة صادقة ورؤية معتدلة

بقلم أ. د. محمد رفعت الإمام
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة دمنهور

في ذكري مرور ١١٠ عاماً على إبادة الأرمن على أيدى الحكومات والأنظمة العثمانية المتعاقبة في الفترة من ١٨٧٨ وحتى ١٩٢٣، يُسعد مجلة أريك أن تُقدم لقرائها الأجلاء هذا البحث المهم الذى يوضح بجلاء الدور العربي عموماً والمصري خصوصاً في توثيق تلك الجريمة الإنسانية – أول إبادة في القرن العشرين بشكل موضوعي.

مرت القضية الأرمنية فى الدولة العثمانية بثلاث مراحل متميزة، وإن كانت متكاملة.

- الأولى زمن السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦-١٩٠٨ )
- الثانية إبان الحكم الاتحادى (١٩٠٩-١٩١٨)
- الثالثة خلال الحكم الكمالى (١٩١٩-١٩٢٣).

## ملامح القضية :

فيما يخص المرحلة الأولى ، فالثابت تاريخياً أن الأرمن العثمانيين لم يسعوا إلى الانفصال أو الاستقلال عن الدولة العثمانية ، بل طالبوا بإجراء إصلاحات داخلية فى الولايات الأرمنية الست: بيتليس، أرضروم، فان، خربوط، سيواس، جزء من ديار بكر فى نطاق بقائهم ضمن رعاياها. وهنا ، أهملت السلطات العثمانية حل المسألة الأرمنية مما حدا بمثقفي الأرمن وزعمائهم بالأستانة إلى مناشدة الروس لتبني مستقبل الأرمن العثمانيين فى مباحثات السلام إثر الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧– ١٨٧٨. وفعلاً، نجحت المساعي الأرمنية جزئياً، إذ تضمنت معاهدة «سان إستيفانو» المبرمة في ٣ مارس ١٨٧٨ بين الدولتين الروسية والعثمانية المادة «١٦» الخاصة بمسألة الإصلاحات الأرمنية، وهى نفس المادة التي عُدلت إلى المادة «٦١» من معاهدة برلين المبرمة في ١٣ يولية سنتئذٍ. وهكذا ، تصاعدت المسألة الأرمنية عقب معاهدة برلين من كونها مشكلة محلية عثمانية إلى كونها



قضية دولية. بيد أن مراوغات الإدارة العثمانية عن تنفيذ الإصلاحات وانشغال الجماعة الدولية عن متابعة القضية الأرمنية، انزلق بالتوجه الأرمني العام إلى المسار الثورى لحل القضية بعد فشل تسويتها سلمياً. وبذلك، تبلورت الطاقات الأرمنية فى هيكليات حزبية ثورية سرية وعلنية جيّشت قواها داخلياً وخارجياً لمزاولة ممارستها الدعائية والثورية. هذا، وقد تمخض عن تنامى المد الثورى الأرمنى وانتهاج السلطات العثمانية سياسة قمعية صوبه، اندلاع سلسلة من الاضطرابات والقلاقل والمذابح ضد الأرمن بين عاميّ ١٨٩٤-١٨٩٦ راح ضحيتها عدة آلاف من الأرمن، وهاجرت عدة آلاف أخرى منهم إلى البلاد العربية وروسيا القيصرية والبلقان وأوربا وأمريكا.

ولذا، غدت «المذبحة» آلية عثمانية رسمية للتخلص من الناس حتى لا يتشبثوا بأراضيهم دون مراعاة لأية شرعية دولية أو إنسانية. ولعل ميوعة الموقف الدولى آنذاك قد يسّر هذه المهمة على النظام العثمانى. ومع هذا، عدّل الأرمن الثوريون إستراتيجيتهم وتحالفوا مع

جماعـة «تركيـا الفتـاة» بغيـة إسـقاط النظـام الحميـدى ، وهـو مـا نجحـوا فيـه فعليـاً إثـر انقـلاب ٢٤ يوليـة ١٩٠٨. وبـذا، أُسدل السـتار علـى المرحلـة الأولـى مـن القضيـة الأرمنيـة لتبـدأ المرحلـة الثانيـة الأكثـر زخمـاً بصعـود نجـم « تركيـا الفتـاة» ذات النزعـة العنصريـة المتطرفـة؛ الطورانيـة.

تمخض عن فعاليات هذه المرحلـة أن صـار التخلص مـن الأرمـن ضـرورة سياسـية للاتحادييـن بقـدر مـا هـي اقتصاديـة وعرقيـة بقـدر مـا هـي دينيـة كـي تنسـجم المنظومـة الطورانيـة. ولهـذا، اسـتغل النظـام الاتحـادى تقهقـر جيوشـهم علـى جبهـة القوقـاز وألقـوا لـوم الهزيمـة علـى الأرمـن. إذ اسـتغلوا وجـود الأرمـن الـروس المتطوعيـن يُقاتلـون فـى الجيـش الروسـي واتهمـوا الأرمـن العثمانييـن بالخيانـة العظمـى لأنهـم لـم يتطوعـوا فـى جيشـهم شـأن أقرانهـم الـروس. وفـى هـذا المنـاخ ، قـرر الاتحاديـون فـى فبرايـر ١٩١٥ إبـادة الأرمـن بالدولـة العثمانيـة ووقعـت مهمـة تنفيذهـا علـى عواتـق الـدرك والعصابـات والتشـكيلات المخصوصـة. وفـى مـارس ١٩١٥ قـررت الحكومـة العثمانيـة تدمير مركـزيّ المقاومـة الأرمنييـن الرئيسـيتيين زيتـون وفـان. وفـى مسـاء ٢٤ أبريـل ١٩١٥ اعتقلـت السـلطات الاتحاديـة أكثـر مـن مائتـى أرمنـى مـن النخبـة المثقفـة بالأسـتانة واغتالوهـم جميعـاً. ومنذ مايو أبرقت السـلطات العثمانيـة أوامرهـا الصريحـة إلـى الحـكام والقـادة العسـكريين بـ»ترحيـل» الأرمـن عنـوة مـن وطنهـم الأم بحجـة حمايـة المدنييـن وحمايـة القـوات المسـلحة مـن خيانـة متوقعـة مـن الأرمـن الممالئيـن لروسـيا. وفعـلاً، نفـذت الأسـتانة هـذه العمليـة فـى الولايـات الشـرقية علـى مرحلتيـن: أولاً، قتـل كل الرجـال الأكفـاء، ثـم ثانيـاً، نفـى بقيـة الأرمـن. بيـد أن النفـى لـم يكـن سـوى الفصـل الثانـى مـن برنامـج الإبـادة.

وفـى نهايـة يوليـة ١٩١٥ قطـع برنامـج النفـى أشـواطاً كبيـرة، ولـم يعـد ثمـة أرمـن فـى تلـك الولايـات التـي كانـت أوربـا تُطالـب البـاب العالـى دومـاً بإجـراء الإصلاحـات فيهـا. بيـد أن الاتحادييـن قلقـوا مـن الأرمـن قاطنـى الأناضـول وقيليقيـة. ومـن ثـم، جـاء دورهـم منـذ نهايـة يوليـة ١٩١٥. وبذلـك نجـح الاتحاديـون تمامـاً فـى تصفيـة الأرمـن مـن أراضيهـم التاريخيـة التـي قطنوهـا منـذ مـا ينيـف علـى ثلاثـة آلاف سـنة. ويكمـن أسـاس هـذه المأسـاة فـى تبنـى الاتحادييـن المتعصبيـن قوميـة متطرفـة، وليـس فـى خيانـة الأرمـن كمـا ادعـت السـلطات العثمانيـة. والحقيقـة أن التخلـص مـن الأرمـن وقضيتهـم سـيُجنب الحكومـة العثمانيـة التدخـلات الأوربيـة المسـتمرة وسـيُزيل العقبـة الرئيسـية بيـن الأتـراك العثمانييـن والشـعوب التركيـة الأخـرى فيمـا وراء القوقـاز وبحـر قزويـن، ويُمهـد السـبيل لملكيـة جديـدة أمـام أبطـال الطورانيـة. وفـى كلمـة موجـزة: تطـورت فكـرة التخلـص مـن الأرمـن بشـكل متـواز مـع اندفـاع تنامـى الطورانيـة.

وبأفـول نجـم الاتحادييـن (١٩١٨) يُسـدل السـتار علـى المرحلـة الثانيـة مـن القضيـة الأرمنيـة بعـد أن نجحـوا فـى إنجـاز الشـطر الأكبـر مـن إبـادة الأرمـن العثمانييـن. ويبـدأ الفصـل الثالـث والأخيـر ببـزوغ نجـم الكمالييـن الذيـن تبنـوا مشـروع إقامـة «وطـن قومـى لا يقبـل التجزئـة» ممـا يعنـى رفـض قيـام دولـة أرمنيـة فـى شـرق الأناضـول تضـم الولايـات الأرمنيـة السـت وقيليقيـة. ولكـى يُقنـع الكماليـون المجتمـع الدولـى والأرمـن سـوياً بجديـة نواياهـم، صبـوا جـام غضبهـم علـى قيليقيـة وراحـوا يُطهرونهـا مـن الأرمـن بهجمـات منظمـة علـى المـدن والقـرى المأهولـة بهـم تحـت بصـر فرنسـا وسـمعها. ولـم يكتـرث الكماليـون بأوامـر الأسـتانة، واعتبـروا أنفسـهم «الحكومـة الفعليـة» فـى الدولـة. وهكـذا، أنـذر الهجـوم التركـى علـى قيليقيـة ورفـض الفرنسـيين الدفـاع عنهـا بمـوت قيليقيـة الأرمنيـة.

ورغـم هـذا، نجحـت الدبلوماسـية الأوربيـة فـى أن تُملـى علـى الأسـتانة قبـول معاهدة سيفر في ١٠ أغسـطس ١٩٢٠ التـي كرّسـت تمزيـق الدولـة العثمانيـة واختزالهـا فـى دولـة أناضوليـة صغيـرة محصـورة بيـن بلديـن مـا تـزال حدودهمـا غيـر مرسـومة وهمـا أرمينيـة واليونـان. وبغيـة إسـقاط سـيفر وتجنـب التهديـد الـذي تُشـكله «أرمينيـة مسـتقلة» أصـدر مصطفـى كمـال فـى أواخـر سـبتمبر ١٩٢٠ أمـره إلـى الجيـش التركـى باختـراق الحـدود وسـحق الجمهوريـة الأرمنيـة القائمـة فـى القوقـاز (١٩١٨–١٩٢٠) ، وتابعـت دول الوفـاق تقـدم الجيـش التركـى فـى قلـب الجمهوريـة الأرمنيـة فـى منتصـف نوفمبـر حتـى احتلـت المنطقـة بأسـرها وسـيطر الأتـراك علـى المناطـق التـي كانـت لهـم قبـل انسـحابهم فـى نوفمبـر ١٩١٨.

وأخيـراً، أُبرمـت معاهـدة لـوزان فـي ٢٤ يوليـة ١٩٢٣

بشكل يتماشى مع أمانى الأتراك القوميين. إذ أنها اعترفت لتركيا بحدود مستقرة تستوعب تراقيا الشرقية والأراضى المتنازع عليها فى الأناضول ؛ إقليم أزمير ، قيليقية ، ساحل البحر الأسود ، الولايات الشرقية (أرمينية). وانعكس الانتصار المطلق للأتراك بأنه لم ترد فى بنود لوزان النهائية كلمتا «أرمينية» أو «الأرمن»، إنما تضمنت نصوصاً عامة حول ضرورة عدم اضطهاد «الأقليات» غير المسلمة عموماً فى تركيا. وهكذا، أُخليت تركيا من أضخم أقلية غير تركية وترسخت أسس الجمهورية «التركية» بإنجاز مستوى رفيع من التجانس على حساب الأرمن الذين حُكم عليهم إما بالهلاك أو الشتات. وتبعثر الناجون من الأرمن على ظهر البسيطة ليكونوا بمثابة «بصمات الجانى على جسد المجني عليه».

## الديوان العربي :

عكست المصادر العربية بامتياز القضية الأرمنية بكل أبعادها وملابستها وتداعياتها منذ تدويل المسألة الأرمنية بموجب المادة «٦١» من معاهدة برلين (١٨٧٨) وحتى إجهاضها دولياً فى مؤتمر لوزان (١٩٢٣) ويُقصد هنا بالمصادر العربية - أو بالأحرى الكتابات العربية - تلك الأدبيات التى كتبها عرب، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، بلغة الضاد وتعاطت القضية الأرمنية خلال الفترة قيد الدراسة أو بعدها بقليل. ومن ثم، تخرج الدراسات والكتابات العربية الحديثة عن هيكل هذه الدراسة. ويقع المدى الجغرافى للمصادر العربية فى الأقطار ذوات الصلة بالأرمن عموماً والقضية الأرمنية خصوصاً. وهنا تتجلى الأدبيات الصادرة من مصر وبلاد الشام والعراق والحجاز.

وترتكز هذه الدراسة على النصوص العربية بشكل جوهرى، ومن ثم، تخرج الأرشيفات الرسمية عن إطارها. إذ أن المحتوى الأرشيفى العربى آنذاك كان صدى للأرشيفات العثمانية والبريطانية والفرنسية، وهى أرشيفات الدول صاحبات الهيمنة السياسية والعسكرية على الديار العربية. ومن ثم لا تتسم هذه الأرشيفات بخصوصية عربية وقتذاك. ومع ذلك يُمكن العروج إليها بين الحين والآخر لقياس واختبار مدى موضوعية ومصداقية النصوص. وتتسم المصادر العربية بالتعدد والتنوع واختلاف المشارب والمضارب. وفى هذا الصدد، ثمة ألوان متباينة من المصادر: الدراسات والمؤلفات، الكتابات الصحفية، الأدب، الشعر....إلخ







وتأسيساً على ما سبق، يُمكن تقسيم المصادر العربية قيد الفحص والتمحيص إلى نمطين أساسيين وهما:

- **المؤلفات السياسية والأدبية:** ويُمكن أن نُطلق عليها «الكتابات الأيديولوجية».
- **الكتابات الصحفية :** ويُمكن أن نُسميها «كتابات الرأي العام».

فيما يتعلق بالنمط الأول، نذكر منه على سبيل المثال لا الحصر: أعمال الزعيمين المصريين الوطنيين مصطفى كامل لاسيما كتابه المسألة الشرقية ومحمد فريد وكتابه تاريخ الدولة العلية وكذا، أعمال المفكرين الشوام من أمثال فايز الغصين وكتابه المذابح فى أرمينيا ومحمد كرد على وكتابيه خطط الشام ومذكرات. وفى هذا المنحى، لا يُمكن تجاهل كتابات ولى الدين يكن - التركى الأصل والعربى الهوية - لاسيما مذكراته المعنونة ب المعلوم

ولعل رواية «رائف ودكران»، تنقلنا إلى المصادر الأدبية، ونذكر منها مثالاً: نثريات مصطفى لطفى المنفلوطى فى كتابه النظرات، وروايات الضاحك الباكى لفكرى أباظة المصرى «والأرمنية الحسناء» لمحمود الحفنى المصرى، وأشعار معروف الرصافى العراقى.

وقد اتسمت هذه الكتابات بكونها سلسلة متصلة الحلقات فى معالجة القضية الأرمنية. ففى كتابات كامل وفريد ويكن نرصد القضية منذ نشوئها عند منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهاية المذابح الحميدية. وفى أعمال المنفلوطى والرصافى وغيرهما نتلمس المرحلة الانتقالية بين الحقبتين الحميدية والاتحادية التى شهدت مذابح أضنة عام ١٩٠٩. وفى مؤلفات الغصين وكرد على وأباظة تبرز بجلاء الإبادة الأرمنية عام ١٩١٥ زمن الحكومة العثمانية الاتحادية.

وثمة ملاحظة جد مهمة على هذا النمط من الكتابات مفادها أنها لم تنكر وقوع المذابح الحميدية أو الإبادة التى اقترفها الاتحاديون. لكن معظم هذه الكتابات قد انصبت فى قوالب تبريرية. على سبيل المثال، لم ينكر مصطفى كامل وقوع المذابح الحميدية، ولكنه اجتهد فى نفى أنها سياسة عثمانية رسمية تبناها النظام الحميدى، وسعى حثيثاً لإثبات أنها رد فعل على خيانة الأرمن لدولة الخلافة الإسلامية وتعاونهم الوثيق مع بريطانيا - وهى الدولة المحتلة مصر. وأيضاً، اجتهد كامل لترويج القضية الأرمنية فى سياق دينى مؤداه: أقلية أرمنية مسيحية تتعاون مع، وتحتمى ب»القوى الصليبية» للنيل من الإسلام مجسداً فى السلطنة العثمانية.

وثمة مثل ثان. فايز الغصين الذى يُعد، بحق، رائد التأريخ لوقائع الإبادة الأرمنية عام ١٩١٥؛ إذ أن كتابه صدر بالقاهرة فى خريف عام ١٩١٦ قبل أن تنتشر كتابات برايس وتوينبى وغيرهما. ورغم هذه الريادة ، فإن جُل مبتغى الغصين من وراء عمله هو تبرئة الإسلام كدين وعقيدة ونصوص مقدسة من كونها المحرِّض على إبادة الجنس الأرمنى. وفى هذا الخصوص، لم تخرج كتابات ولى الدين يكن عن كونها صوت الأحرار العثمانيين واللامركزية فى مواجهة الاستبداد الحميدى. وكذا، وقعت كتابات كرد على فى دائرة صراع الهوية العربية ضد الطورانية.

## الصحافة العربية :

تلك، نظرة طائر سريعة على ملامح وسمات النمط الأول للأدبيات العربية التى تصدت للقضية الأرمنية. أما فيما يتعلق بالنمط الثاني؛ أى الأدبيات الصحفية، فالأمر يستلزم ردحاً من الزمن للغوص فى غياباتها والخروج بمكنوناتها. وفى هذا المضمار، جدير بالتسجيل جملة من الملاحظات المهمة:

**أولاً:** تمتلك المكتبة العربية زخيرة قيمة من الدوريات على شتى أشكالها المختلفة: الجرائد، المجلات، النشرات، المطبوعات التى صدرت فى الفضاء العربى إبان الفترة قيد الدراسة. وقد تنوعت ما بين: اليومي، نصف الأسبوعي، الأسبوعي، نصف الشهري، الشهري، ربع السنوي، نصف السنوي، السنوي.

**ثانياً:** رغم عدم وجود إحصاء دقيق عن إجمالى أعداد عناوين الدوريات العربية المودعة فى دور الكتب العامة خلال الفترة رهن الدراسة، فإن مكتبة الدوريات المصرية - التى تملكها الدولة وتُشرف عليها - تمتلك مجموعات كاملة وشبه كاملة غالباً وعينات أحياناً لحوالي «٨٠٠» عنوان دورية صدروا فى مصر من الإسكندرية حتى أسوان والعكس خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين. ولا تنحصر قيمة المكتبة المصرية على اكتناز هذا الرصيد النادر فحسب، بل تتميز بأنها تضم بين أحشائها مجموعات كاملة - أو تكاد - من الدوريات العربية الصادرة فى أقطار أخرى. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مرآه الأحوال الباريسية، الكوكب المقدسية، الرأى العام البيروتية، وكذا الأرز، العاصمة السورية، القبلة الحجازية... وغيرها.

**ثالثاً:** تُشكل الدوريات العربية منجماً معلوماتياً وفكرياً نادراً لمتابعة المواقف الرسمية والاتجاهات الفكرية العربية إزاء القضية الأرمنية. ليس هذا فحسب، بل إنها تعكس بجلاء نبضات الشارع العربى إيجابياً وسلبياً وبكل وجوهه إزاء الأرمن. ولا تعكس هذه

الدوريات اتجاهات فكرية عربية بعينها فقط، ولكنها مسئولة عن صياغة «رأي عام» يعتنق هذا الاتجاه أو ذلك. ورغم أن هذه الدوريات لا تُعبر عن عقل جمعى عربي واحد أو موحد، فإن جزئياتها المتناثرة هنا وهناك تكوَّن معاً المشهد العربى الأكثر اكتمالاً بكل خلفياته عن القضية الأرمنية.

**رابعاً:** تكاد الدوريات العربية تقدم قاعدة معلومات متتالية زمنياً ومترابطة موضوعيا للقضية الأرمنية منذ برلين ١٨٧٨ وحتى لوزان ١٩٢٣ فمثلاً:

- عكست جريدة مرآة الأحوال الحقبة البرلينية
- عبرت جريدة الزمان القاهرية عن مراحل الثورة الأرمنية
- جسدت جرائد عديدة مرحلتيّ المذابح الحميدية والإبادة الاتحادية مثل الأهرام، المقطم، الرأي العام، المشير، القبلة، العاصمة، الأخبار، الأفكار .... إلخ

**خامساً:** لم تُقدم الدوريات العربية قاعدة معلومات فقط عن القضية الأرمنية، بل عبرت عن فروع ثقافية متضافرة ومتنافرة، ولكنها صبت جميعها فى المجرى العام للرؤية العربية إزاء القضية الأرمنية. ونستطيع اختبار هذه المقولة فى ضوء رصد الخيوط الأيديولوجية للصحافة المصرية التى تصدت لمعالجة المذابح الحميدية:

- الوقائع المصرية : لسان حال الحكومة
- الأهرام : تتبنى وجهة النظر الفرنسية
- المقطم : تُروج للرؤية البريطانية
- المؤيد : تُؤازر التيار الإسلامى
- اللواء : تُبرر السياسة العثمانية ولسان حال الحزب الوطنى
- المشير : صوت تركيا الفتاة فى مصر
- الرأي العام : صدى الموارنة فى مصر
- الوطن، مصر : تُجسدان الرأى القبطى
- الهلال وغيرها : صوت العناصر الشامية

وهكذا، نستطيع صياغة الرؤية الجمعية العربية نحو القضية الأرمنية من تجميع وتركيب هذه التكوينات. ونظراً لمحدودية عدد الصفحات المخصصة لهذا البحث، فإننى سوف أُحلق فى سماء الصحافة العربية لألتقط للقراء بعض المشاهد ذوات الدلالة على سبيل المثال فقط.

## الحقبة الحميدية:

تعليقاً على مذابح عاميّ ١٨٩٤-١٨٩٦، انتقدت جريدة الرأي العام القاهرية فى عددها رقم ٣٣ الصادر يوم السبت ١١ سبتمبر ١٨٩٦ ، صفحة ٢٦٩ الأتراك لأنهم - حسب نص الجريدة - «يستأصلون الأمة الأرمنية استئصالاً، ويذبحون منها المئات والألوف كل يوم غير الذين يُميتونهم فى السجون وفى الجبال تائهين يتضورون جوعاً أو يقتلهم البرد والشتاء.»

وثمة نص تداولته الصحافة المصرية يصف أوضاع أرمن أضنة عام ١٨٩٦ على النحو الآتى ؛»فإن الحكام هنالك أُشربوا مبدأ السلطان فجعلوا يُضيقون على الأرمن ويُعاملونهم معاملة المرء لعبده أو بهيمه، وسمحوا لزنادقة الترك ووحوش الكرد أن يستبدوا بهم، ويأتوا ما أرادوا من النُكر معهم حتى لم يبق مع أولئك المساكين من أموالهم الكثيرة درهم. وأصبح الكبير منهم عبداً لأحقر أعدائهم المتوحشين. وتقرر فى الأذهان أن قتل الأرمن لا يُعد من قبيل المخالفات الصغرى، وأن إقدام الأرمن على الشكوى من تركي أو كردي جناية كبرى يُجاز عليها الأرمنى المسكين بالسجن طويلاً أو بالتعذيب إلى أن يموت. وأدى ذلك إلى قحة زادت عن حدود الوحشية عند جماعة الكرد والترك فى تلك الولاية إلى حد أن فلاحيهم المحتقرين صاروا يستعيضون عن الثيران والحمير بالأرمن فى فلاحتهم. فيربطون إلى النير اثنين أو ثلاثة من الذين كانوا بالأمس كبراء ولايتهم، ويُجرجرونهم فى الفلاحة وهم يسوقونهم بالوخذ المُدمى والجلد المؤلم حتى تسيل منهم الدماء ويعجزون عن جر المحراث أو يموتون ونير الفلاح فوق أعناقهم. وما كان نير الفلاح التركى أثقل من نير سلطانه» ( الرأى العام ، عدد

١١ ، السبت ٢٧ مارس ١٨٩٧ ، ص ٨٥ ) .

## مذابح أضنة ١٩٠٩:

فتوى الأزهر الشريف لتحريم مذابح اضنه ابريل ١٩٠٩

تبوأت مذابح أضنة عام ١٩٠٩ مكانة محورية فى الصحافة العربية التى استنكرت اندلاع هذه المذابح ، ونشرت باحتفاء شديد فتوى الشيخ سليم البشرى - شيخ الجامع الأزهر الشريف - الخاصة بتحريم تعدى مسلمى الأناضول على المسيحيين القاطنين هناك بالقتل والأذى ، لأن هذا الشئ.. تأباه كرامة الإسلام، ولا ينجم عنه إلا رمى الدين الحنيف بالهمجية وعدم موافقته للتمدن والحضارة.

وفيما يلى نص كلمة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر سليم البشرى « وبعد فقد اطلعنا فى الصحف المحلية على أخبار محزنة وإشاعات سيئة عن مسلمى بعض ولايات الأناضول من الممالك العثمانية وهى أن بعضهم يعتدون على بعض المسيحيين فيقتلونهم بغياً وعدواً فكدنا لانصدق ماوقع إلينا من هذه الإشاعات ورجونا أن تكون باطلة لأن الإسلام ينهى عن كل عدوان ويحرم البغى وسفك الدماء والإضرار بالناس كافة المسلم والمسيحى واليهودى فى ذلك سواء .

فيا أيها المسلمون فى تلكم البقاع وغيرها احذروا ما نهى الله عنه فى شريعته الغراء واحقنو الدماء التى حرم الله اهراقها ولاتعتدوا على أحد من الناس فإن الله لايحب المعتدين . " لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "

يأيها المسلمون الله الله فى دينكم وإياكم وماحظر عليكم ربكم فى كتابه وسنة رسوله والفسوق عن أمره والنزول على ما فيه غضبه وسخطه .

إن للذين عاهدوكم والمستأمنين لكم والذين جاوروكم من أهل الذمة بينكم حقاً من الله تعالى فى رقابكم أن تستقيموا لهم ما استقاموا لكم وأن تمنعوهم مما تمنعون منه أنفسكم وأهيلكم وإن تجعلوا لهم من بأسكم قوة لهم ومن قوتكم عزاً ورخاء وإن تكفوا عن أديارهم وكنائسهم وبيعهم ما تكفون عن مساجدكم ومعابدكم . ولا والله ماداس امرؤ حريمهم ووضع السيف فيهم وبغى عليهم إلا كان ناقضاً لما أخذ الله على المسلمين من عهد وأوجب عليهم من أمر .

فيا أيها المسلمون لاتجعلوا للعصبيات الجنسية سلطاناً عليكم . ولاللتشيع للعناصر سبيلا إلى نفوسكم فإن هذا حمية الجاهلية التى بّردها الإسلام ونعى على أهلها . ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وفى أصحابه العافين خير قدوة . ولو أنكم لم تسمعوا مقالة جاهل ولم تقدعوا سلطان الهوى لملكت عليهم سماحة الإسلام مشاعركم . ولجعلتم للسلم مفيضاً . ولوجدتم عن سفك الدماء منصرفاً .

واعلموا إنه أن كان ما بلغ الناس عنكم حقاً فقد أغضبتم ربكم ، وما أرضيتم نبيكم وشريعتكم ، وأحفظتم إخوانكم المسلمين عليكم غيرة على دينهم الذى تنكرت بهذا العمل الشنيع ( إن صح ) معالمه ، وانتهكت محارمه وأطلقتم ألسنة الجاهلين بدينكم بنكر القول فى المسلمين أجمعين .

ألا فاسمعوا ما قال نبيكم فى مثل ما أنتم فيه اليوم . قال صلى الله عليه وسلم « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً « وقال عليه الصلاة والسلام « من قذف ذمياً حد له يوم القيامة بسياط من نار «

فرحم الله إمرءاً سمع فوعى ، وبلغ ودعا ، وفق الله المسلمين أجمعين إلى العمل بدينهم القويم ، وهداهم إلى صراطه المستقيم ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العظيم

وعلى المستوى الشعبى ، فرحت عموم الجماهير المسلمة من فتوى الشيخ الأزهرى لأنها حسمت النزاع بين طائفتين من الجنس البشرى. ونلمس رد فعل الجماهير العادية فى قصيدة نشرها شاعر مغمور بجريدة الأفكار القاهرية يوم الجمعة ٧ مايو ١٩٠٩ على صدر صفحتها الأولى. وجاءت تحت عنوان «فى مدح شيخ الأزهر وفتواه». ومن أبياتها:

أرضيت بكَ والنبى محمدا
والمسلمين وسائر الأديان
والله يعلم أن دين محمدا
دين الحضارة محور العمران

نفس المعنى نسمع صداه بقوة فى منظومة الشاعر العراقى الكبير الرصافى عن «أم اليتيم» ، ونثرية مصطفى لطفى المنفلوطى «لا همجية فى الإسلام» بجريدة «الجريدة» القاهرية.

## المرحلة الاتحادية :

فى هذا الإطار، سوف أبتعد عن الصحافة الرسمية مثل القبلة الحجازية والعاصمة السورية على أهميتها الشديدة وسوف أُركز على بعض صحافة الرأى النادرة جداً.

فى طنطا - عاصمة محافظة الغربية بمصر - صدرت جريدة أسبوعية تُسمى «العدل». فى عددها الصادر يوم الأحد ٢٢ ديسمبر ١٩١٧، وعلى صدر صفحتها الأولى نشرت مقالاً مطولاً تحت عنوان «حول أرمينية». والمقال عبارة عن مشاهدات ضابط عربى فى الجيش العثمانى عن « الرزيا التى نزلت بالأرمن» فى الفترة من ١٩١٥-١٩١٧.

ومما ورد فى هذا المقال على لسان الضابط:

« ... إن ما قرأتموه وسمعتموه عن مصائب الأرمن ليس إلا نقطة من بحر ، فإن الجحيم الذى وصفه دانتى - الشاعر الإيطالى - نعيم إذا قوبل بالجحيم الذى تجتازه أرمينية.... كنا قد سمعنا بفظائع الألمان. أما الآن، فقد شاهدناها مقرونة إلى فظائع الاتحاديين ، فإن الألمان لا يعرفون شيئاً مقدساً. وقد حرضوا الاتحاديين على الفتك بالمتعلمين والمتنورين الأرمن.... لقد صار نهر الفرات ورمال الفضاء فى بلاد النهرين قبور الشعب الأرمنى وجفت عيوننا فلا تذرف الدمع «

وأختم الحقبة الاتحادية - حقبة الإبادة - باقتباسين:

**الأول:** مقال طويل نشرته على صفحتها الأولى جريدة الأخبار القاهرية يوم ٦ يولية ١٩١٧ تحت عنوان «ضابط عربي يصف فظائع الترك فى أرمينية».

يقول الضابط: «... قررت جمعية الاتحاد والترقى انتداب أنور باشا ناظر الحربية للقيام بمهمة التخلص من خطر الأرمن الموهوم. فجاء أنور باشا أرضروم، وعقد هناك مجلساً سرياً فى منزل والى الولاية حضره الاتحاديون وزبانيتهم، وقرروا أن يُؤلفوا عصابات من الجناة والقتلة والمسجونين وأطلقوا عليها تشكيلات مخصوصة...».

**الثاني:** جريدة الأهرام القاهرية

فى عدد الخميس ١٢ مارس ١٩١٩ ، أثارت الأهرام قضية الإبادة الأرمنية عام ١٩١٥ على هامش مطالبة الأرمن بإنشاء مملكة خاصة بهم. وقد علقت على هذا قائلة: «إن الألمان وتلاميذهم الاتحاديون لم ينظروا إلى حل مسألة الأرمن على هذا الوجه، بل كانت خطتهم محو العنصر الأرمني. وقد اتضح ذلك من عملهم وأقوال الشهود العدول.» وفيما يخص عملية تهجير الأرمن إلى ولاية حلب العربية، علقت الأهرام بقولها : «أما الجهة التى قاموا بنقلهم إليها فهى ولاية حلب العربية، ولكنهم كانو يفنونهم فى الطريق لأن الغرض الصحيح لم يكن الإبعاد ، بل الإفناء...».

وهكذا، يتضح مما سبق أن القضية الأرمنية قد تواجدت بقوة فى بطون المصادر العربية بدءاً من تدويلها ووقوع المذابح الحميدية ١٨٩٤ – ١٨٩٦ ومروراً بمذابح أضنة ١٩٠٩ وانتهاءً باقتراف أول إبادة جماعية فى القرن العشرين ضد الأرمن زمن الاتحاديين والكماليين ١٩٠٩ - ١٩٢٣. وتجدر الإشارة إلى جدوى هذه المصادر لا سيما فى المعركة الأيديولوجية المشتعلة حول إثبات وقوع الإبادة الأرمنية ونكران وقوعها.

# الإبادة الأرمنية في الأدب الأمريكي

**بقلم : رباب محمد سليمان**

تُعد الإبـادة الجماعيـة هـي موضـوع القرن ، وأحد أبـرز وأحـدث موضوعـات الأدب العالمـي، ورغـم ذلـك فـإن بعـض أعمـال الإبـادة ، بمـا فـي ذلـك الإبـادة الجماعيـة للأرمـن، لـم يتـم الاعتـراف بهـا نهائيًـا ، ورغـم ذلـك لـم يتـم التغاضـي عـن إثـارة هـذه الإبـادات مـن قبـل المفكريـن والأدبـاء مـن جنسـيات مختلفـة فـي إثـارة قضيـة الإبـادة الجماعيـة، وخاصـة قضيـة الإبـادة الجماعيـة للأرمـن.

ومنـذ نهايـة القـرن التاسـع عشـر، ظهـر فـي الولايـات المتحـدة الكتـاب الأرمـن «هايـكاك إكينيـان» فـي روايتـه («درع هايكانـوش»،١٨٩٩)، ونزاريـت مانكونـي فـي مجموعتـه القصصيـة القصيـرة («مـن أجـل الخبـز»، ١٩١٤) ،وغيرهـم بعـد الإبـادة الجماعيـة.

وناقـش الشـعراء «لوتقـي ميـناس»، و»ڤاهـرام سـڤيان»، و»كارابيـت سـيتال»، و»هاكـوب چويومتشـيان» وآخـرون موضوعـات الشـوق والأمـل للوطـن والحـزن القومـي المميـزة للمهاجريـن الأرمـن فـي أمريـكا، والروائـي «هاماثيـل» فـي أعمالـه «قريتـه»( ١٩٢٤)،و»المطـر» (١٩٢٩) مع مجموعـات قصصيـة، وروايـة «الفـارس الأبيـض» (ثلاثينيـات القـرن الماضـي) وغيرها،و»بنياميـن نوريكيـان»، و»ڤاهـي هايـك»، و»آرام هايـكاز»، و»هاكـوب أسـاتوريان»، و»أندرانيك أندرياسـيان»، و»هاكـوب كارابنتـس» وآخـرون.

وفـي الواقـع الأمريكـي، بـدءًا مـن عشـرينيات القـرن الماضـي، تطـور الأدب الإنجليـزي أيضًـا إلـى جانـب الأدب الأرمنـي ،ولقـد كانـت عمليـة طبيعيـة، أملتهـا الظـروف المعيشـية الاجتماعيـة الجديـدة والوجـود.

كانـت مشـكلتا التفكيـر اللغـوي وحاجزاللغـة، وللتغلـب عليهمـا وكان هنـاك حاجـة إلـى لغـة مشـتركة، وخاصـة بالطبـع اللغـة الإنجليزيـة، مـع الحفـاظ علـى وعـي الانتمـاء الوطنـي والاهتمـام العميـق بتاريـخ الشـعب الأرمنـي ومصيـره، وقـد سـاهمت أعمالهـم بشـكل كبيـر فـي المعرفـة الأرمنيـة، وأثـارت الاهتمـام بالأرمـن بيـن الأجانـب، وجعلـت المجتمـع الدولـي علـى درايـة بالمشـاكل



الكبيـرة التـي يواجههـا الأرمـن.

وفـي هـذا الصـدد، فـإن الكتـاب الأرمـن فـي المهجـر مثـل «خاتشـاتور أوسـكانيان»، و»ليڤـون سـرابيان»، و»إيمانويـل ڤارانديـان»، و»مايـكل أرليـن»، و»تيجـران چويومتشـيان»،و»مايكل أرليـن چونيـور»، و»ويليـام سـارويان»، و»ليڤـون زاڤيـن سـورميليان»، و»بيترسـوريان»، و»ريتشـارد هاكوبيـان»، و»بيتـر نچاريـان»، لهـم قيمـة خاصـة، و»چـاك هاشـيان»، و»بيتـر بالاكيـان» وآخرون.وعلـى الرغـم مـن هـؤلاء الكتـاب قدمـوا مسـاهمة كبيـرة فـي تغطيـة المواضيـع الأرمنية،فالتركيـز علي المؤلفين الأجانـب، لأن وجهات نظرهـم ربمـا تبـدو أكثـر حياديـة وموضوعيـة.

تنـاول موضـوع الإبـادة الجماعيـة للأرمـن «إلچيـن چروسـكلوز» فـي «أرارات»، و»إرنسـت همنچـواي» فـي قصـص «علـى شـاطئ سـميرنا» و»ثلـوج كليمنجـارو»، و»هنـري ميلـر» فـي روايـة «تمثـال ماروسـي»، و»إيليـا كازان» فـي رواياتـي «أمريـكا أمريـكا» و»الأناضـول»، و»جـون دوس باسـوس» فـي «قطـار الشـرق السـريع»،وكورت فونيچـوت فـي روايـة

«اللحيــة الزرقــاء» وغيرهـــا.
وعلــى الرغــم مــن هــؤلاء المؤلفيــن معروفــون فــي الســاحة الأدبيــة، إلا أن غالبيتهــم، علــى عكــس الكتــاب الأمريكييــن الأرمــن باللغــة الإنجليزيــة، وهــم «ليڤــون زاڤيــن ســورميليان» و»مايــكل أرليــن چونيــور» و»بيتــر بالاكيــان»، لا يصفــون الإبــادة الجماعيــة الأرمنيــة بشــكل دقيق،وبشــكل شــامل، كقاعدة عامــة، يقتصــر علــى ضحايا المجــازر، ويصــور التجــارب النفســية ومعاناتهــم، وكذلــك مصيــر الناجيــن مــن المجــزرة وأحفادهــم.
وتُعــد «إلجيــن چروســكلوز»هي أول الكتــاب الأمريكييــن الذيــن تناولــوا موضــوع الإبــادة الجماعيــة الأرمنيــة بشــكل شــامل فــي روايتهــا «أرارات» (١٩٣٩)،وتصــور المذابــح الحميديــة فــي مدينــة ديليچــان، إحــدى المناطــق الشــرقية مــن أرمينيــا التركيــة، ويُشــار إلــى أنهــا مثــل «بيتــر بالاكيــان»، تقــدم الإبــادة الجماعيــة الأرمنيــة بنــاءً علــى ذكريــات شــهود أجانــب وشــهاداتهم،ومن الواضــح أن هــذا الظــرف لــه ميــل معين،وإنــه شــيء واحــد إذا تــم تمثيــل المذبحــة بواســطة أرمنــي، فهــو شــيء آخــر تمامًــا إذا قــام أمريكــي أو أوروبــي أو روســي أو تركــي بتصويــر المذابــح.
وكانت»چروسكلوز»، علــى عكــس العديــد مــن زملائهــا الكتــاب، إذ كانــت لديهــا معرفــة جيــدة بمــا فيــه الكفايــة بالمــادة التاريخيــة وقدمــت المذابــح الأرمنيــة بحقائــق مقنعــة، وهــو أمــر مهــم للغايــة بــلا شــك، لأنــه فــي كثيــر مــن الأحيــان يحصــل ملاييــن الأشــخاص علــى فكــرة عــن المذابــح الأرمنيــة مــن خــلال الخيــال.
لــن يكــون مــن غيــر الضــروري أن نذكــر أن روايــة «أرارات» ليــس لديهــا النطــاق الواســع لتصويــر الإبــادة الجماعيــة، وهــو موجــود فــي روايــة «ليڤــون زاڤيــن ســورميليان»، «أنــا أناشــدكم، أيهــا الســيدات والســادة»، لمايــكل أرليــن جونيــورو «رحلــة إلــى أرارات» و»كلــب القــدر الأســود» لبيتــر بالاكيــان.
ومــع ذلــك، يمكــن اعتبــار «أرارات» لچروســكلوز مــن أنجــح الأعمــال المخصصــة لموضــوع الإبــادة الجماعيــة للأرمــن، ولعــل الميــزة الرئيســية لهــا هــي أن الإبــادة الجماعيــة يقدمهــا عــدد مــن الأبطــال الأجانــب، وهــو مــا ربمــا يجعــل روايــة القصــة روايــة أكثــر قبــولا وإقناعــا.
ويُعــد «إرنســت همنجــواي»، و»هنــري ميلــر»، و»چــون دوس باســوس»، و»كــورت فونيچــوت» أشــهر الكتــاب الأجانــب الذيــن ناقشــوا موضــوع الإبــادة الجماعيــة للأرمــن.
فإرنســت همنجــواي، فــي قصتيــه «علــى شــاطئ ســميرنا» و»ثلــوج كليمنجــارو»، ورغــم أنــه لــم يشــر إلــى المذابــح الحميديــة والمذابــح الواســعة النطــاق التــي نظمهــا الأتــراك الشــباب، إلا أنــه يكتــب عــن المجــازر التــي قــام بهــا مصطفــى كمــال، وقــد زارالكاتــب المشــهور عالميًــا ســميرنا عــام ١٩٢٣ ، وأصبــح شــاهد عيــان علــى أعمــال العنــف المرتكبــة ضــد الأرمــن.
لقد رأى همنچــواي المعانــاة والاضطهــاد الــذي لا يوصــف الــذي تعــرض لــه آلاف الأرمــن ،وفــي هــذا الصــدد قــال ذات مــرة: «لقــد فهمــت مــا هــي الحــرب التــي كانــت موجــودة هنــا فقــط فــي الشرق الأوســط» ،وبعــد ٣٠ عامــا مــن زيــارة ســميرنا، كتــب همنچــواي مــا يلــي: « أتذكــر عندمــا عــدت إلــى الوطــن مــن الشــرق الأوســط، شــعرت بســعادة غامرة،عندمــا جئــت إلــى باريــس، كنــت أتــردد باســتمرار بيــن الاســتمرار فــي عملــي ككاتــب أو البــدء فــي الكفــاح ضــد جريمــة الإبــادة الجماعيــة. فــي النهايــة، قــررت أن أكتــب، ولكــن أن أكتــب الحقيقــة فقــط» .
وكمــا يتبيــن مــن كلمــات همنچــواي ، فهــو يعتبــر الإبــادة الجماعيــة للأرمــن مشــكلة عالميــة، والســعي إلــى حلهــا هــو الواجــب الأخلاقــي لــكل شــخص متحضــر، وموقــف الروائــي الأمريكــي مــن الإبــادة الجماعيــة الأرمنيــة، إلــى جانــب ذلــك، مــن مشــكلة الإبــادة الجماعيــة بشــكل عــام، ينعكــس أيضًــا فــي القصــة الشــهيرة «ثلــوج كليمنجــارو»: « بعــد فتــرة، رأى أشــياءً لــم يكــن بإمكانــه حتــى التفكيــر فيهــا ، ثــم رأى مشــاهد أكثــر فظاعــة. وعندمــا عــاد إلــى باريــس، لــم يســتطع أن يقــول أو يلمــح إلــى مــا رآه».
الضربــة النفســية والمعنويــة التــي تلقاهــا البطــل الــذي أصبــح شــاهدًا علــى أعمــال الشــغب الأرمنيــة أجبرتــه علــى التــزام الصمــت، يصبــح التحــدث أو الكتابــة غيــر مناســب بــل ومســتحيلاً.
إن البشــر محكــوم عليهــم بمثــل هــذا الصمــت أمــام الحقائق الأرضيــة، وأيضًــا أمــام العذابــات الجهنميــة الصامتــة، التعبيــر، يبــدو الحديــث غيــر مناســب وغيــر مناســب. وســجل همنجــواي، ككاتــب ذي قلــب حســاس وكبيــر، اللحظــة الأكثــر أهميــة، والتــي يمكــن أن تســمى تقليديــا

«فلسـفة الصمـت».
ربمـا يمكـن لهـذه الحالـة العقليـة المعقـدة أن تفسـر حقيقـة أن بعـض الكتـاب (سـواء الأرمـن أو الأجانـب) الذيـن شـهدوا المذابـح أو اسـتمعوا إليهـا التزمـوا صمتًـا مبجـلًا، وبالتالـي بـدا وكأنهـم يحترمـون ذكـرى ضحايـا الإبـادة الجماعيـة.

ومـع ذلـك، فهـم همنچـواي ورفاقـه أن هـذا صمـت مؤقـت،وإن عـدم إثـارة قضيـة الإبـادة الجماعيـة للأرمـن يعنـي تـرك مرتكبيهـا دون عقـاب، وبالتالـي المسـاهمة بشـكل غيـر مباشـر فـي المزيـد مـن عمليـات الإبـادة الجماعيـة المحتملـة، وبعـد أن أدرك بطـل همنجـواي هـذه الحقيقـة البسـيطة بشـجاعة، قـرر أخيـرًا تقديـم الوجـود الكامـل للمذابـح الأرمنيـة.

وهـذا الهـدف نفسـه يسـعى إليـه الروائـي المصـور الأمريكـي «هنـري ميلـر»، الـذي أصبـح هو الآخـر شـاهد عيـان علـى الجرائـم التـي ارتكبهـا القوميـون الأتـراك فـي سـميرنا.
وتحـت تأثيـر مجـازر الأرمـن، ألـف «هنـري ميلـر» روايـة «تمثـال ماروسـي»، فيـرى الكاتـب الأمريكـي بوضـوح أن الإبـادة الجماعيـة للأرمـن هـي تدميـر للأخـلاق وكل مـا هـو إنسـاني. «... تـم دفـع آلاف الرجـال والنسـاء والأطفـال الأبريـاء إلـى البحـر مثـل الحيوانـات، وتـم إطـلاق النـار عليهـم، وخنقهـم، وحرقهـم أحيـاء، وقطعـت أيديهـم عندمـا حاولـوا الصعـود علـى متـن سـفينة أجنبيـة. أعتقـد أن هـذه الهمجيـة كانـت بمثابـة نذيـر لمـا كنـت أراه فـي المـدن الفرنسـية فـي كل مـرة يتـم فيهـا عـرض قصـف مدينـة صينيـة فـي الفيلـم» ، ولا ينسـى ميلـر أن يذكـر الحقيقـة المهمـة وهـي أن الوحـدات العسـكرية للـدول العظمـى شـهدت الفظائـع المذكـورة ، لكنهـا اتخـذت موقـف المراقب غيـر المكتـرث.

ليـس مـن الصعـب أن نلاحـظ أن ميلـر كان قـادرا علـى تقديـم التقييـم الأكثـر اكتمـالًا للإبـادة الجماعيـة، علـى عكـس إرنسـت همنچـواي ، تمكـن مـن إظهـار الشـعب الأرمنـي والقـرن العشـرين بشـكل مباشـر العلاقـة التاريخيـة المتبادلـة للجرائـم الأخـرى واسـعة النطـاق. وتجـدر الإشـارة أيضًـا إلـى السـطور الموجـودة فـي روايـة ميلـر ،والتـي يلـوم بهـا المؤلـف القـوى العظمـى علـى لامبالاتهـم ،وبهـذا يحـاول الكاتـب الكشـف عـن جـذور الجرائـم ضـد الإنسـانية بشـكل أكثـر شـمولاً.
واسـتكمالاً لفكـر ميلـر، يمكننـا القـول إن جريمـة الإبـادة الجماعيـة لا تنتـج عـن سـبب أو عامـل واحـد، بـل عـن مجموعـة أسـباب وعوامـل جـزء مـن الإنسـانية مذنـب بتنظيـم الإبـادة الجماعيـة والتحريـض عليهـا، والجـزء الآخـر مذنـب بتنفيذهـا. ولكـن ليـس أقـل خطـورة هـم الأشـخاص الذيـن يمكنهـم منـع الجريمـة، لكنهـم لا يفعلـون ذلـك، إنهـم ببسـاطة غيـر مباليـن بحـزن وألـم الآخريـن ومصيرهـم. ويتفـق كثيرمـن المثقفيـن علـى أن اللامبـالاة البشـرية أسـوأ مـن الحقـد والكراهيـة.
ويعبِّـر ميلرفـي قصيدتـه «الصليـب الأحمـر» عـن فكـرة مثيـرة للاهتمـام. «فقـط فـي لحظـة الحـزن والمعانـاة يصبـح النـاس قبضـة واحـدة» .
وبالإضافـة إلـى إرنسـت همنچـواي وهنـري ميللـر، تطرق الكاتـب الأمريكـي الشـهير «جـون دوس باسـوس» إلـى موضـوع الإبـادة الجماعيـة للأرمـن، وقـد أهـدى روايتـه «قطـار الشـرق السـريع» للشـعب الأرمنـي.
يعـرض المؤلـف الأمريكـي فـي هـذا الروايـة ذكريـات الأرمـن الأتـراك والأرمـن الـروس فـي فتـرة مـا بعـد الحـرب، و يسـافر دوس باسـوس مـع أرمنـي شـهد سـلخ جلـد والـده وأمـه وأخواتـه الثـلاث فـي مدينـة طرابـزون. عنـد سـماع قصـة ذلـك الأرمنـي، يمتلـئ دوس باسـوس بالحـزن العميـق والتعاطـف مـع الأرمـن الذيـن سـقطوا ضحايـا المجازر،ويوجـه الكاتـب اتهامـات ثقيلـة للشـعب التركـي بسـبب الجريمـة التـي ارتكبهـا.
ردًا علـى اتهـام «دوس باسـوس»، يـرد طبيـب تركـي: «عندمـا يفقـد الجيـش التركـي صبـره ويقتـل بعـض الأرمن الخونـة، فإنكـم تصرخـون بالإبـادة الجماعيـة بأعلـى صوتكـم، ولكـن عندمـا تحرقـون أيهـا اليونانيـون قـرى تركيـة عـزلاء وتقتلـون الصياديـن الضعفـاء والفقـراء، فإنكـم تنشـرون «الديمقراطيـة» فـي العالـم» .
لا يتـرك دوس باسـوس كلام الطبيـب التركـي دون إجابـة، فـي روايتـه «قطـار الشـرق السـريع « : «فـي عـام ١٩٢٠ لقد هاجمتـم أيهـا الأتـراك القـرى القريبـة مـن ألكسـندرابوليس ودمرتموهـا وأفسـدتم محاصيـل الحقـول وأخذتـم مـا يمكـن حملـه، حتـى جنكيـز خـان وأحفـاده لـم يتمكنـوا مـن ارتـكاب مثـل هـذا الدمـار».
فـي هذيـن المقطعيـن المقتبسـين مـن روايـة «قطـار

الشرق السريع» نالت ظاهرة الخير تقييمًا أخلاقيًا حقيقيًا. ويُظهر «دوس باسوس»، مثل «هنري ميللر»، أن عمليات الإبادة الجماعية المنظمة ضد الشعوب المختلفة تشكل سلسلة واحدة، اليوم يقتل الأتراك الأرمني، وغدا النازيون الألمان يدمرون اليهود، ونتيجة لذلك لا يتوقف تدفق الجرائم ضد الإنسانية، مما يجلب المعاناة والموت لملايين الأبرياء والعزل.

ويأتي إيليا كازان ،وهو كاتب أمريكي من أصل يوناني لُيدين كازان بشدة الولايات المتحدة الأمريكية، التي -على حد تعبيره- كانت الجلاد البارد القلب للأرمن الأناضوليين..

ما مدى موضوعية الكاتب الأمريكي عندما يتهم الولايات المتحدة بمجازر الأرمن؟على ما يبدو، يتحدث كازان عن المسؤولية الأخلاقية البحتة، لأنه لا توجد مثل هذه الحقائق التاريخية التي من شأنها أن تشهد على التواطؤ المباشر للولايات المتحدة، يمكن إلقاء اللوم على الولايات المتحدة ومعظم القوى العظمى بشكل رئيسي ، لأنها لم تمنع بشكل فعال الإبادة الجماعية للأرمن ، ولنتذكر مرة أخرى أن تلك كانت سنوات الحرب العالمية الأولى، وكانت القوى العظمى مشغولة بالحرب وحل قضاياها السياسية. ولكن حتى مع ذلك، من وجهة نظر أخلاقية، لا يمكن أن يكون ذلك عذرا.

تكشف الأوصاف والصور الحية للمذابح الأرمنية في رواية «إيليا كازان»، «أمريكا، أمريكا» بعض تفاصيل الجريمة العالمية، فمشاعر الكاتب المتعاطفة والدافئة تجاه الشعب الأرمني واضحة.

صحيح أن موضوع الإبادة الجماعية للأرمن لا يحتل مكانة مركزية في رواية كازان، لأنه مخصص لقصة عائلة يونانية هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لكن حتى في هذه الحالة يرى القارئ اهتمام الكاتب وقلقه موقف متعاطف تجاه الأرمن.

وبالنسبة لمؤلف رواية «أمريكا أمريكا» يبدو أن الشعبين الأرمني واليوناني يمثلان وحدة واحدة، ولقد حارب كل من الأرمن واليونانيين ضد المضطهدين الأجانب لعدة قرون، وكان وجودهم المادي مهددًا في كثير من الأحيان، ولعل موقف إيليا كازان المتعاطف مع الأرمن يرجع إلى هذه الظروف.

وجسد «شاول بيلو» موضوع الإبادة الجماعية للأرمن، فيكتب عن انتفاضة الأرمن في رواية «رحلة أوجي مارش» التي تتحدث عدة فصول منها عن محامي أرمني يمثل التاريخ المأساوي لشعبه مثل المؤلفين السابقين، يشعر شاول بيلو بالألم والتعاطف مع الأرمن بسبب العنف الذي عانوا منه خلال الإبادة الجماعية.

يُشار إلى أن الكاتب الأمريكي يقارن بين المذابح الأرمنية واليهودية، فيأتي توازي بيلو مناسبًا تمامًا، ومن الصعب العثور في تاريخ الإبادة الجماعية على حالتين ملحميتين متشابهتين تمامًا مثل حالة الأرمن واليهودية، و الشيء هو أن كلاهما كانا على نطاق واسع، وفي كلتا الحالتين كان الهدف من المذابح هو التدمير الكامل للأمم المذكورة.

ولكن سيكون من الخطأ القول إن الإبادة الجماعية للأرمن واليهود متطابقة تمامًا، ولا يخفى على أحد أن المذبحة اليهودية لقيت رد فعل على المستوى العالمي أشد من رد الفعل الأرمني، حتى قبل الإبادة الجماعية اليهودية في عام ١٩١٥، كان العالم قد نسي تقريباً معالم الإبادة الأرمنية، حتى أدولف هتلر، تحدث عن ذلك: «فمن يتحدث اليوم عن إبادة الأرمن؟».

فقط بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة خلال العشرين سنة الماضية، بدأ صراع حقيقي لإدانة الإبادة الجماعية الأرمنية والاعتراف بها على المستوى العالمي.

جاء اهتمام شتاين بالإبادة الجماعية للأرمن كبيرًا جدًا لدرجة أنه كتب ثلاثة كتب حول هذا الموضوع، فبطل روايات الكاتب الأمريكي هو المحامي الأرمني توقيماس، ومن خلاله يقدم الكاتب تقييماً أخلاقياً للمجاز «سيكون للمتهم، وهو من أصل أرمني، الحق في الاستعانة بمحام، ربما المحامي ليس محايدًا، لأن الأشخاص الذين كانوا أول من اعتنق المسيحية تعرضوا لمثل هذا العنف في بداية القرن، والذي له اسم واحد فقط: الإبادة الجماعية «

لا يصف سول شتاين الإبادة الجماعية الأرمنية بشكل مباشر بأنها جريمة ضد الإنسانية، وعلى عكس المؤلفين الذين تمت تغطيتهم بالفعل، لا يُظهر العلاقة التاريخية الموجودة بين الأرمن وجميع الفظائع

الأخرى، ولكن من خلال بطله، يُدين بشدة الجريمة التي ارتكبها الأتراك.
فشتاين لا يُدين المذابح الأرمنية إلا لدوافع إنسانية،فهو يُظهر بشكل غير مباشر أن الأرمن شعب تقدمي ،وأن خسارتهم هي خسارة كبيرة للحضارة العالمية.
وتأتي كتابات «جيمس كلاڤيل»، الذي كتب» النسب النبيل»، و»جوزيف وامبو»،مؤلف»حقول البصل» ، و»إيڤان جولد، صاحب» «أصدقاء مرضى»، و»إيڤان موريس في» شارع الحرية «، و»هيرمان ووك»، في «الشباب».هوك»، و»سايروس سولزبيرجر» في «بائع الأسنان»،الذين تناولوا الإبادة الجماعية للأرمن من قبل

لم يخصص معظم الكتاب الأمريكيين أعمالًا منفصلة للفترة ١٨٩٤-١٨٩٦، وفي عام ١٩١٥ إلى الأحداث. لقد نظروا إلى الانتفاضة الأرمنية في سياق الأحداث التاريخية والسياسية العالمية، ومن حيث البصيرة التاريخية، فإن هذه الطريقة في تصوير الإبادة الجماعية لها ما يبررها بلا شك. إن عيب عدد كبير من الكتاب الأمريكيين (غير الأرمن )هو أنهم لا يمثلون بشكل مناسب الشعبين الأرمني والتركي وخصائصهما الوطنية والثقافية والدينية، ويعكس معظم كتاب الولايات المتحدة بشكل سطحي أيضًا العلاقات الأرمنية التركية ودوافع الإبادة الجماعية الأرمنية.
وإن العديد من الأعمال المخصصة للإبادة الجماعية الأرمنية من قبل الكتاب الأمريكيين رائعة لأنها ببساطة كتبها أجانب، ومن الضروري أن نُضيف أن الكتاب الأمريكيين، بصرف النظر عن الجانب الأخلاقي للإبادة الجماعية الأرمنية، يتناولون أيضًا العواقب النفسية للإبادة الجماعية، والتي لا تقل أهمية ولا تُنسى.

والمؤلفون الأمريكيون (غير الأرمن ) كقاعدة عامة، لا يصورون بدقة العواقب النفسية للإبادة الجماعية الأرمنية، ومن الواضح أن السبب في ذلك هو أن معظمهم لم ينجوا بشكل مباشر من المذابح الأرمنية ،ولم يكونوا من نسل ضحايا الإبادة الجماعية.ومع ذلك، فإنهم يتحدثون على الأقل لفترة وجيزة عن مصير أحفاد ضحايا المذبحة، وحالتهم الأخلاقية والنفسية الصعبة، والأزمة العقلية الداخلية، والتي غالبا ما تبدو مستعصية على الحل.
تناول الروائي الأمريكي البارز «كورت فونيچوت» عواقب الإبادة الجماعية للأرمن ، ويقدم في روايته «اللحية الزرقاء» فنانًا أميركيًا أرمنيًا يُدعى «رابو كارابيكيان»، سقط أقاربه ضحية مجازر الأرمن، ويعاني رابو من ذكريات قاسية عن الإبادة الجماعية ،وكثيرًا ما يعزل نفسه في إحدى غرف منزله، حيث لم تطأ قدمه أحداً من قبل.
في نهاية الرواية يتبين أن في تلك الغرفة إحدى لوحات الفنان التي صور عليها المذابح الأرمنية، تشهد رواية فونيجوت بوضوح على حقيقة أنه حتى العقود غير قادرة على محو ذكرى الإبادة الجماعية وتخفيف الضجة التي سببتها.
ويتحدث «إيليا كازان» أيضًا عن الحقيقة الأخيرة في روايته «الأناضول»،فأبطال الرواية، فرديناند وآرا سارافيان، هما شخصيتان نموذجيتان للشتات الأرمني حتى عام ١٩١٥، وبعد الإبادة الجماعية، استقر هؤلاء الإخوة الأرمن في الولايات المتحدة الأمريكية ،وأنشأوا ورشة للسجاد وافتتحوا متجراً كبيراً ،لكن هذا ليس كل ما كان لدى الأخوين سارافيان. كان لديهم متاجر كبيرة في أنحاء مختلفة من العالم وكانوا يمتلكون ثروة مادية كبيرة.
في مثل هذه الحالات، كان هؤلاء الأرمن المنفيون يتمتعون باحترام المجتمع الأمريكي.ويبدو أن مجرد البشر لا يحتاج إلى أكثر من هذا، فكل إنسان يحلم ويطمح إلى منصب اجتماعي رفيع وثروة مادية كبيرة. كان لدى الأخوين سارافيان كليهما، لكنهما لم يشعرا بالسعادة.
السؤال الذي يطرح نفسه..لماذا؟ ربما لن يكون من الخطأ أن نقول إن آرا وفرديناند سارافيان كانا ضحيتين لماضي أمتهما المأساوي والحالة النفسية المهتزة الحالية.ما هو السبيل للتغلب على الأزمة النفسية التي يعيشها الأرمن في الشتات؟ مما لا شك فيه أن الاعتراف بالإبادة الجماعية الأرمنية وإدانتها من قبل جميع أعضاء المجتمع العالمي، الأمر الذي سهَّلته الأنشطة التنويرية والدعائية للكتاب الذين غطوا موضوع الإبادة الجماعية.



## الاستثمار في جوهرة القوقاز الخالدة

بقلم . چاكلين جرجس

معلوم أن أرمينيا بلد جذاب من وجهة نظر الاستثمار وبيئة الأعمال حيث إن جذب الاستثمار ودعمه وإيجاد إطار قانوني ملائم وبيئة للاستثمارات الأجنبية هي إحدى الاتجاهات الأساسية للسياسة الاقتصادية لجمهورية أرمينيا، وقد أجريت إصلاحات هامة، و تحققت عدة تطورات اساسية خلال العقد الأخير مما جعل أرمينيا وجهة أكثر ملاءمة للاستثمارات الأجنبية، حيث إن جمهورية أرمينيا لديها أحد أكثر نظم الاستثمار انفتاحا فيما بين بلدان رابطة الدول المستقلة كما أنها تتبنى سياسة «الباب المفتوح» فيما يتعلق بالاستثمارات الأجنبية، وتجري حكومة أرمينيا إصلاحات عميقة وشاملة لبيئة الأعمال لكى توفر فرصا مواتية للاستثمار والأعمال التجارية للمستثمرين الأجانب، والنتائج واضحة و ملموسة فأرمينيا اليوم يأتى ترتيبها ٣٨ من بين ١٩٠ دولة وفقا لترتيب البنك الدولي «Doing Business ٢٠١٧». مع النتيجة الإجمالية من ٧٠,٣ أرمينيا في المرتبة ٣٣ في العام ٢٠١٧ ، من المؤكد أن جمهورية أرمينيا وفرت ضمانات للمستثمرين و مواد لحماية الاستثمارات الأجنبية، فضلا عن عدد من الامتيازات حيث يخضع المستثمرون الأجانب للتشريع العام (على غرار الشركات المحلية)، الذي يوفر معاملة غير تمييزية للمستثمرين الأجانب فى سوق ارمينيا ؛ ومن بين هذه الامتيازات الرئيسية



ملكية العقارات وحق الشركات المسجلة في أرمينيا في شراء الأراضي والوصول غير المقيد إلى أي قطاع أو موقع جغرافي داخل البلد أو إعادة توطينها بحرية أو غير محدودة إلى أوطانها أو تحويل العملات غير المحدودة إلى أسعار السوق أو شرط الجد لمدة ٥ سنوات (ضمانات ضد تغييرات التشريعات المتعلقة بالاستثمارات).

حيث يخلق تنوع قطاعات الاقتصاد الأرمني طائفة واسعة من الفرص للمستثمرين واليوم، فإن أرمينيا بلد يتمتع بفرص، مع رأس المال البشري الحديث والمثقف والعمل الجاد والموقع الجغرافي والتعاون مع العديد من البلدان. وقد اعتمدت استراتيجية بناء على الاقتصاد القائم على العلم و المعرفة ، كما أنها نفذت مجموعة من الإصلاحات من أجل مواءمة النظام التعليمي مع المعايير الدولية. والدليل على نجاحنا هو مدرسة ديليجان الدولية، والجامعات الأمريكية والفرنسية

والسلافية، فضلا عن معهد كونفوشيوس، مدرسة اللغة الصينية المتقدمة في أرمينيا ونتيجة لهذه الاستراتيجية، سجلت جمهورية أرمينيا معدلات نمو مرتفعة في تقنية المعلومات، وتقنيات الابتكار، والهندسة الدقيقة ومجالات البحوث ذات الصلة في قطاعات بناء على القدرات، كمركز إقليمي. في أرمينيا، تجتذب الاستثمارات لقطاع تقنية المعلومات من قبل الشركات العالمية المعروفة مثل «Synopsys» و National instruments « و « Microsoft « و « IBM « و «Oracle « و « D-Link « الخ .. كذلك الشركات الأرمنية، سجلت تقدما كبيرا. إن إنشاء مركز IBM Innovative Solutions and Technologies Center في أرمينيا، Microsoft Innovation Center ، Armenian-Indian Center for Excellence ، دليل على الإمكانات الهائلة الأرمنية في هذا المجال.

ويثبت نجاح هذا المجال باستمرار الإنجازات التي حققتها الشركات الأرمنية في الساحة الدولية. وقدرت القيمة السوقية للشركة الأرمنية بيسارت حوالي ٢٥٠ مليون دولار وفقا Forbes Magazine. ويعكس إطلاق أكثر من ١٠٠ شركة جديدة في عام ٢٠١٦ بيئة الأعمال المواتية لشركات تقنية المعلومات في أرمينيا ؛ و بناءا عليه سجل نمو كبير في القطاع الصناعي في أرمينيا، والصناعة التحويلية، ولا سيما في مجال تجهيز الأغذية. وتستند السياسة الصناعية إلى التوسع في قطاعات الاقتصاد القابلة للتصدير من خلال المساهمة في تنمية القطاعات ذات الإمكانيات التصديرية، مع التشديد على تطوير صناعة التجهيز. واتخذت خطوات لاحقة في هذا الاتجاه لتحويل أرمينيا إلى البلدان المتقدمة صناعيا باستخدام نماذج الإدارة الحديثة والتكنولوجيات التنافسية، وكذلك من خلال التطوير المستمر لرأس المال البشري. تشتهر أرمينيا بتقاليدها القديمة في صناعة المشروبات، التي أصبحت بطاقة ترحيب بأرمينيا.

ومن الواضح أن الاقتصاد الأرمني لديه إمكانيات قوية للتنمية ويوفر أساسا كبيرا للتعاون. وحكومة جمهورية أرمينيا لديها نهج دقيق لتنفيذ الفرص المذكورة أعلاه: أي توفير الدعم الكامل للمستثمرين. هناك نهج خاص « investor demand based « لكل مشروع استثماري واحد، ويوفر للمستثمرين مجموعة أدوات الدعم الضرورية، ويقترح الخيار الأكثر فعالية من مجموعة واسعة من الحوافز ، ويمكن للمستثمرين في أرمينيا الاستفادة من الحوافز، مثل استيراد البضائع والمعدات والمواد الخام بدون رسوم جمركية من بلدان الاتحاد الاقتصادي لدول غرب أفريقيا ، واستيراد المعدات والمواد الخام من البلدان غير الأعضاء في الاتحاد الاقتصادي لدول غرب أفريقيا، فضلا عن تأجيل ضريبة القيمة المضافة إلى ٣ سنوات لاستيراد السلع والمعدات في نطاق المشاريع الاستثمارية المشتركة على أساس قرار مصمم من حكومة أرمينيا والامتيازات الضريبية للمصدرين الكبار والوظائف الجديدة، والإعفاءات الضريبية على الأرباح في الأعمال التجارية الزراعية الأولية، والأنشطة الاقتصادية الخالية من الضرائب في المناطق الحدودية من أرمينيا ، والمناطق الاقتصادية الحرة المعفاة تماما من ضريبة القيمة المضافة وضريبة الأرباح وضريبة الأملاك والرسوم الجمركية.

ولديها إمكانيات هائلة وتهدف إلى جذب الاستثمارات إلى أرمينيا، أطلقت حكومة جمهورية الأرجنتين موقعا على شبكة الإنترنت www.investmentprojects.am لتقديم مشاريع استثمارية مجدية من المستثمرين الأجانب والمحليين على حد سواء. هذا الموقع بمثابة منصة ربط بين المستثمرين والمشاريع الاستثمارية. ويتيح الموقع للمستثمرين المحتملين مراقبة المشاريع حسب النشاط أو القطاعات أو الموقع، للحصول على المعلومات الضرورية المتعلقة بالمشاريع، على سبيل المثال، التكلفة الإجمالية للمشروع، وكمية الأموال المستثمرة في ذلك الوقت، والمنطقة، ووصف المشروع، الخ خطة عمل واضحة، يقدم الموقع الجديد جميع المعلومات اللازمة للجمهور من خلال الرسم على شبكة الإنترنت الأكثر بسيطة وبأسعار معقولة.

علاوة على ذلك، لدينا مؤسسة التنمية في أرمينيا(DFA)، السلطة الوطنية في أرمينيا للاستثمار والتصدير وتشجيع السياحة. ويعتبر DFA محطة واحدة للمستثمرين، ويوفر خدمات متعمقة للمستثمرين الأجانب، بما في ذلك توفير المعلومات اللازمة عن مناخ الأعمال في أرمينيا وفرص الاستثمار والتشريعات ذات الصلة، والدعم الأرضي في تنظيم زيارات الموقع للمستثمرين، وإدارة الدعم بعد الزيارة، والمساعدة في تنفيذ المشاريع الاستثمارية، وإدخال الأعمال التجارية، فضلا عن الاتصال بالمؤسسات الحكومية. وتوفر وزارة الشؤون الخارجية أيضا خدمات الاستثمار بعد الرعاية للمستثمرين الذين أقيموا بالفعل في أرمينيا. واليوم، تتمتع أرمينيا «Generalized system of preferences» مع كندا وسويسرا واليابان والنرويج والولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن أنظمة التجارة المعممة « Generalized system of preferences plus » (GSP+) مع الاتحاد الأوروبي. وهذا يعني صفر أو تخفيض كبير في الرسوم الجمركية على بعض السلع من أصل أرمني المصدرة إلى هذه البلدان. وهناك فرصة أخرى هي « Trade and Investment Framework Agreement » الذي وقع بين حكومة جمهورية أرمينيا وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية والذي يهيئ ظروفا مؤاتية للاستثمارات وتعزيز السلع والتجارة بين البلدين.

ولدى أرمينيا اتفاقات للتجارة الحرة مع معظم بلدان رابطة الدول المستقلة تضم أكثر من ٢٥٠ مليون نسمة. كما أن أرمينيا عضو في الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، مما يخلق مجموعة من الفرص وفي الوقت الحالي، حصلت أرمينيا على دخول مبسط إلى السوق الواحدة التي يبلغ حجمها ١٨٠ مليون وحدة، والتي تتمتع بحق استيراد المواد الخام من الدول الأعضاء في الاتحاد بدون رسوم جمركية، ولا توجد أي إجراءات جمركية خلال التجارة المتبادلة بين الدول الأعضاء في الاتحاد، مما يؤدي إلى وخفض التكاليف المالية، واستهلاك الوقت للأعمال، وعدم اتخاذ تدابير غير تجارية للتجارة والتقنيات التجارية بين الدول الأعضاء في الاتحاد، فضلا عن استيراد ٧٥٠ نوعًا من المنتجات بشروط تفضيلية.

كما أن أرمينيا تقع على مفترق طرق الشرق والغرب مما يجعل الأمة الأرمنية في أوروبا وآسيا على السواء. أصبحت أرمينيا جسرًا فريدًا بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي والاتحاد الاقتصادي الأوراسي: النظر في العضوية في الاتحاد الاقتصادي الأوراسي وفرصه المترتبة من جهة، والأنظمة التجارية المذكورة أعلاه مع الاتحاد الأوروبي من جهة أخرى.

حاليا أرمينيا على استعداد لتصبح مركزا لمجتمع الأعمال الدولية إدخال الضيافة الأرمنية التقليدية وظروف الإقامة المريحة لرجال الأعمال وأسرهم، والجمع بين عقلية الغربية والشرقية، فضلا عن نمط الحياة. وفي هذا السياق، هناك إمكانيات لإنشاء مكاتب رئيسية للمنظمات الدولية الرئيسية في جمهورية أرمينيا.

و عند الحديث عن رأس المال البشري في أرمينيا، من المستحيل ألا نذكر الاستثمار فى قطاع السياحة و هي واحدة من القطاعات الأكثر حيوية التي تفيد النمو المستدام والديناميكية التي أشار إليها كل من عدد من الزوار والاستثمارات الموجهة إلى بناء الفندق

وتطوير البنية التحتية.
حيث نجد أن مناخ الاستثمار والفرص في أرمينيا لا ينضب و قد نفذت الحكومة سياسات ومبادرات مختلفة لتطوير وترويج قطاع السياحة. وتشمل هذه:
١. تطوير البنية التحتية: تستثمر الحكومة في تطوير البنية التحتية السياحية، مثل المطارات والطرق السريعة والفنادق، لتسهيل سفر السياح واستكشاف الوجهات المختلفة في البلاد.
٢. الترويج للسياحة المتخصصة: تعمل الحكومة على الترويج للسياحة المتخصصة، مثل السياحة الطبية وسياحة المغامرات والسياحة الدينية، لجذب السياح ذوي الاهتمامات الخاصة.
٣. التأشيرة السياحية الإلكترونية: أدخلت الحكومة نظام التأشيرة السياحية الإلكترونية لتبسيط عملية الحصول على التأشيرة للسياح من دول مختارة.
٤. حوافز للشركات السياحية: تقدم الحكومة حوافز ضريبية ومزايا مالية أخرى لشركات السياحة لتشجيع نموها وتطورها.
٥. التسويق والترويج: تستثمر الحكومة في التسويق والترويج للبلاد كوجهة سياحية من خلال الحملات والمبادرات المختلفة.
و لمزيد من التشجيع للسياحة في أرمينيا، نفذت الحكومة العديد من السياسات والمبادرات، بما في ذلك:
١- تحرير التأشيرات: سهلت الحكومة الأرمينية على الزائرين من دول معينة الحصول على تأشيرات عند الوصول، أو حتى بدون تأشيرة.
٢- تطوير البنية التحتية السياحية: استثمرت الحكومة في تطوير البنية التحتية السياحية، بما في ذلك الفنادق والمطاعم ومرافق النقل.
٣- تعزيز التراث الثقافي: عملت الحكومة على تعزيز التراث الثقافي الغني لأرمينيا من خلال مبادرات مختلفة، مثل تطوير المواقع التاريخية والثقافية، وتنظيم الفعاليات والمهرجانات الثقافية.
٤- دعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة: قدمت الحكومة الدعم للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في قطاع السياحة، بما في ذلك التمويل وبرامج التدريب.
٥- التسويق والإعلان: استثمرت الحكومة في الحملات التسويقية والإعلانية للترويج لأرمينيا كوجهة سياحية.
بالقطع قد تختلف السياسات والخطط الحكومية للتطوير السياحي وتحقيق الخدمات السياحية من بلد لآخر وتعتمد على الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في كل بلد لكن من بين السياسات والخطط الحكومية التي يُمكن اتباعها :
١- تبني استراتيجية متكاملة لتنمية السياحة تضمن تعزيز اقتصاد البلاد وتوفير فرص عمل جديدة وزيادة دخل السكان.
٢- زيادة الإنفاق الحكومي والاستثمار في المشاريع السياحية المهمة وتنفيذها بسرعة لتحسين البنية التحتية السياحية وتطوير الخدمات المقدمة للسياح.
٣- تشجيع الاستثمارات الخاصة في قطاع السياحة عن طريق تقديم حوافز مالية وأخرى للمستثمرين.
٤- العمل على تحسين الخدمات الأساسية مثل النقل والإقامة والترفيه والتسوق.
٥- العمل على تحسين الأمن والاستقرار في المناطق السياحية وتطبيق إجراءات السلامة والصحة.
٦- تحسين العلاقات الدبلوماسية مع دول أخرى لزيادة عدد السياح الوافدين.
٧- تقديم دعم وتدريب للقوى العاملة في القطاع السياحي لتحسين جودة الخدمات المقدمة.
٨- العمل على تنظيم السياحة المستدامة والحفاظ على التراث الطبيعي والثقافي للمناطق السياحية.
٩. الحفاظ على الثقافة والتراث: يعمل الحكومة على الحفاظ على المعالم الثقافية والتراثية والطبيعية للبلاد وتعزيزها كجزء من الجذب السياحي.
١٠. تدريب الكوادر السياحية: يتم تطوير برامج تدريب وتأهيل للعاملين في قطاع السياحة لتحسين

جـودة الخدمـات المقدمـة للسـياح.

لذلـك أجد أنـه من الضـروري التركيـز علـى الاسـتثمار فـى هـذا القطـاع والالتفـات لمحاولـة البحـث عـن أسـواق جديـدة داعمـة للبلـد سـياحيًا، و زيـادة الاعتمـاد علـى السياحة الإلكترونيـة، وهـي مجموعـة الخدمـات السياحية المرتبطـة بالإنترنـت. وتشـكل السياحة الإلكترونيـة القسـم الأكبـر مـن حجـم التجـارة الإلكترونيـة وهـي دائمـاً فـي ارتفـاع مسـتمر، وتعـود بدايـة السـياحة الإلكترونيـة، إلـى عـام ١٩٩٠ مـع ظهـور الــ «World Wide Web» إحـدى الشـبكات العنكبوتيـة العالميـة.

فـإذا اجتمـاع قطاعـي التكنولوجيـا الحديثـة تقنيـات ناشـئة والسياحة معـاً أدى إلـى ولادة قطـاع جديـد مشـجّع جـداً سُـمّي السـياحة الإلكترونيـة بتطبيقاتهـا الحديثـة والمتنوعـة واسـتخدام تقنيـات الإنترنـت مـن أجـل تفعيـل عمـل الموردين السـياحيين والوصـول إلـى تسـهيلات أكثـر فعاليـة للمسـتهلكين السـياحيين، خاصـة أن شـبكة الإنترنـت تتيـح ذلـك مـن خـلال أشـكال متعـددة تشـمل المعلومـات التفصيليـة المكتوبـة والمصـورة التـي يسـتطيع السـائح مـن خلالهـا زيـارة الأثـر، أو تصفـح المنتـج بنفسـه، أو حتـى إمكانيـة قيـام السـائح بتصميـم البرنـامـج السـياحى الـذي يرغـب فيـه دون التقيد ببرنامـج مُعد سلفاً ووفقـاً للتكلفـة التـي يسـتطيع دفعهـا. ومـن الضـرورى بنـاء اسـتراتيجية جديـدة تهـدف للتوعيـة بأهميـة الوعـى بالتجـارة الإلكترونيـة، وتهيئـة بيئـة ثقافيـة لمثل هـذا النـوع مـن التعامـلات لضمـان التفعيـل الجيـد لتلـك التطبيقـات السـياحة الإلكترونيـة والمعامـلات المرتبطـة بهـا؛ نحـن فـى سـباق مـع الزمـن و نعيـش فـى تحـدٍ تكنولوجـى جديـد كل يـوم .

علينـا أيضًـا أن نكـون مسـتعدين مـن الآن لتلـك الهجمـة الإلكترونيـة الحديثـة، وهـى سـياحة الميتافيـرس، حيـث سـتصبح فكـرة السـفر فـى متنـاول الجميـع بـكل سـهولة وسـرعة لـكل مـن يريـد خـوض تجربـة السـياحة والسـفر والهـروب مـن همـوم العمـل والحيـاة بمجـرد ارتـداء نضـارة الــVR والقفـازات، والأمـر لا يتطلـب سـوى بضعـة دقائـق لزيـارة ياريفـان أو بحيـرة سـيفانمدينة تسـاغكادزور (أو تسـاكادزور) ، جيرمـوك ،ديليجـان أو أى معلـم أثـرى وسـياحى عظيـم و بالطبـع، هـذه السـياحة سـتكون أكثـر راحـة وأمـان، وأسـرع مـن السـياحة العاديـة؛ لكـن السـؤال هنـا: هـل سـتصبح الميتافيـرس عـدوًا علينـا محاربتـه للحفـاظ علـى قطـاع السـياحة التقليديـة أم نسـتطيع تقنينهـا و الاسـتفادة منهـا ؟!

و بمـا أن أرمينيـا تعتبـر بلـداً سـاحراً بامتيـاز، كمـا أنهـا مهـد الحضـارات، فهـي بلـد جميل شـعبها سـخي، تحضن تاريخًـا ثقافيًـا طويـلًا. نتيجـة لذلـك، تعدُّ أرمينيـا وجهـة سـياحية جذابـة حيـث تجـد الكثيـر مـن الآثـار والروائـع التـي تعـود إلـى العصـور القديمـة والعصـور الوسـطى تنتشـر فـي كل أنحـاء البـلاد. فيهـا الجمـال الطبيعـي متمـلًا فـى بحيـرة سيفان، والينابيـع السـاخنة مـن أرزنـي وجيرمـوك، وغابـات ديليجـان، والكهـوف والمنحـدرات الجنوبيـة الشـرقية: جبـل أرارات، الـذي يبلـغ ارتفاعـه ٥١٦٥ متـرًا فـوق مسـتوى سـطح البحـر، ويقـع جغرافيًـا فـي تركيـا، فقد أصبحـت السـياحة فـي أرمينيـا تسـتقطب السـيّاح الذيـن يبحثـون عـن وجهـات جديـدة للسـفر مـن كل أنحـاء العالـم ومـن الـدول العربيـة علـى نحـو خـاص، حيـث بلـغ عـدد السـياح الوافديـن إلـى أرمينيـا فـي العـام ٢٠٢٤ قرابـة ٢ مليـون سـائح مـع تزايـد ملحـوظ للسـياح العـرب نتيجـة تزايـد الرحـلات الجويـة المباشـرة وتسـهيلات الدخـول والفيـزا مـن الـدول العربيـة.، بالطبـع أرمينيـا قـررت دخـول مضمـار و سـباق الاسـتثمار و الإنفتـاح الاقتصـادى و الثقافـى و الاجتماعـى علـى دول العالـم مـن حولهـا متخـذة أول قطـار للحداثـة مـن خـلال السـياحة الراقيـة والعصريـة المدعمـة بالتكنولوجيـا ، بـدلًا مـن التمسـك بماضيهـا المؤلـم قـررت المُضـى قُدمًا دون أن تنسـى تاريـخ جدودهـا اللذيـن سـفكوا دماؤهـم لتتحـرر أرمينيـا فأرتـوت الأرض بدمـاء شـهداؤها لتقوم و تنهـض مـن جديـد قويـة أبيـة ، عازمـة بـكل إصـرار أن تتحـرك قدمًـا نحـو الأمـل نحـو الانتصـار و المسـتقبل المشـرق .



# أول دولة مسيحية في جامعة الأزهر «جريجوري النوراني (٣٣١- ٢٥٧م) ودوره الديني في أرمينيا»

عرض : سارة سمير إبراهيم خليل

فــي رحــاب قســم التاريــخ بكليــة الدراســات الإنســانية جامعـة الأزهـر ٢٠٢٤م ، نُوقشـت رسـالة ماجسـتير جـد مهمـة بعنـوان « جريجـوري النورانـي (٣٣١- ٢٥٧ م) ودوروه الدينــي فــي أرمينيــا»، للباحثــة : ســارة ســمير إبراهيم خليـل، تحـت إشـراف أ.د. عفـاف سيد صبـرة ، ود. مـروة عبدالمتجلـي الجوهـري، وقـد حصلـت الباحثـة علــى تقديـر ممتـاز، ويُسـعد مجلـة أريـك فـي عددهـا المئـوى أن تقـدم لقرائهـا الأعـزاء عـرض لموضـوع الدراســة.

وجـود الأصـل الأرمنـي منـذ القـدم فـكان شـعباً متأصـل صامـداً فـي أرضـه وموطنـه منـذ آلاف السـنين، وموقعهم جعلهـم يتأثـرون ممـن حولهـم فتأثـروا فـي التقاليـد واللغـة عمـن حولهـم مـن اليونانييـن والسـريان والفـرس، غيـر أن طبيعـة جغرافيتهـا القاسـية جعلتهـا تتمتـع بحصـون جغرافيـة طبيعيـة منيعـة ، فجعلـت أرمينيـا كقلعـة داخليـة للشـرق ، وطمعـاً للعديـد مـن الغـزاة .

وقـد ثبـت وجـود المحـاولات الأولـي للمسـيحية قبيـل ظهـور جريجـوري ، ولكنهـا ماهـي إلا محـاولات لرسـل حسـب زعمهـم مبعوثيـن سـواء مـن الرسـل الاثنـي عشـر أو السـبعين إلا إنهـا لـم تأخـذ الشـكل الكنسـي الكامـل بـل كانـت محـاولات باكـرة للمسـيحية وتعاليمهـا وإن آمـن بهـم العديـد إلا أنهـا ظلـت محـاولات بدائيـة لـم تأخـذ أي شــكل للكنيســة ولا للدولــة بعكــس مــا ســنراه فــي موضوعنــا الــذي يخـص جريجـوري النورانــي مؤسـس




الكنيســة ديـن ودولــة .

خضعـت أرمينيـا خـلال القـرون الأولـي لعـدد مـن الملـوك الأجانـب جعلهـا تضطـرب سياسـياً بيـن العديـد مـن القـوي مثـل الإمبراطوريتيـن الرومانيـة والفارسـية ، فتحكـم الباراثيـون الذيـن حكمـوا فـارس فـي أرمينيـا لفتـرة مـن الزمـن ، وأسـفر عـن الصـراع بين كل مـن البارثيين والساسـانيين تعـرض أرمينيـا لاضطـراب سياسـي أدي إلــي عــداء بيــن كل مــن أســرة ملــك أرمينيــا تــردات الثالـث وأسـرة جريجـوري النورانـي الـذي سـيكون لـه الفضـل فـي نشـر المسيحية في أرمينيا ، فغالبـاً مـا لعبـت الاضطرابـات السياسـية دوراً كبيـراً فـي تحـول مصيـر البـلاد ، وهـذا مـا أثـر علـي مصيـر أرمينيـا فيمـا بعـد.

ومـع عـودة جريجـوري مـن قيصريــة إلــي أرمينيــا، ووجـوده بجانـب تـردات سـمحت لـه الفرصـة أن يظهـر بصفتــه الرسـولية أو كمبشـر ورغـم أنهـا أدت بـه إلـي

السجن ،ولكن كل هذا لم يعيقه عن تنصير أرمينيا ، كما حاولت الروايات والأساطير أن تبالغ في وصف قوته وكراماته لتضيف له الصفة الرسولية .

وذكرت روايات عديدة لتعذيب جريجوري والقديسات ربيسيم وجايان ورفقائهن ، ولكنها تبدوا من ضروب الخيال ، وأنها ما هي إلا أساطير قد ذكرت لكي تضفي القداسة والصبغة الدينية علي كنيسة أرمينيا ، فهي لا تصدق بالعقل البشري ، فمن الواضح أن أرمينيا أرادت أن تضيف لكنيستها الصفة الرسولية .

وتطلبت سياسة تحويل أرمينيا من دين إلي دين بعض الوقت ،وقد احتاجت الكثير من الوقت لترسيخ وتثبيت الدين الجديد وطمس الدين الأخر ، ولكننا هنا وجدنا أن كنيسة أرمينيا تظهر غير ذلك، فأرادت أن تجعل عملية تنصير أرمينيا عملية تحويل جماعي إلي المسيحية ، وهذا يرجع إلي محاولاتها أن تضفي علي نفسها صفة الكنيسة الرسولية ، وقد أثبتت ذلك من خلال رؤية جريجوري التي بها لم تجعل عملية التنصير جماعية فحسب، بل حولت جريجوري من منزلة القديس، وجعلته في مصاف الأنبياء ومنزلتهم برؤيته التي قد رأها وتنبأ بما سيحدث لأرمينيا وتحويلها للمسيحية، وهذا لا يحدث سوي عن طريق الوحي للأنبياء فقط ، لذا نستبعد أن يكون قد حدث هذا ، ومع ذلك حسب الروايات أن رؤيته أصبحت هي أساس كاتدرائية الكنيسة الأرمنية .

فأراد جريجوري من خلال بناء الكنائس محل المعابد الوثنية ، أنه لا يريد فقط نشر المسيحية والتبشير بها ، بل يريد طمس الوثنية تماماً ومحو أي أثر لها .

وجدنا اختراع الكتابة وتطورها في القرن الخامس أدي إلي تطور الأدب الأرمني ، فساهم بشكل كبير في فهم المسيحية ، وتطويع الكتابة في خدمة الكنيسة ، ونجد أيضاً أن الأساطير والروايات كالعادة ظهرت حتي في سبب اكتشاف الكتابة ، ونسب أصلها، ووجودها إلي الشعوب القديمة منذ بداية نشأة الأرمن.

أدي تأثر الأساطير الأرمنية بكل الشعوب الهندو أوروبية ، والأشوريين في بابل القديمة ، والإمبراطورية الحيثية القديمة ، وغيرهم من الشعوب التي توالت علي بلاد فارس بحكم القرب الجغرافي إلي تنوع الأساطير الأرمنية .

وبعد تنصير أرمينيا أصبحت كنيستها كنيسة منظمة ، وهذا أدي إلي حاجتها إلي وجود جاثليقاً مكرس يستطيع أن يعمد ويكرس من الأساقفة والقساوسة من يجده يستحق لهذه المنزلة ، وبالتالي لم يكن هناك أحد أحق من جريجوري الذي قام بتبشيرهم جاثليقاً ، وهنا كعادة أرمينيا أشارت الأساطير إلي عملية التنصيب ، وأضافت عليها الهالة النورانية ، وجعلت جريجوري مختاراً عن طريق إلهي لا دخل لهم به مما جعل جريجوري يذعن لقبول هذا المنصب ، فذهب إلي مدينة قيصرية كبادوكيا ، وحصل علي سلطة التكريس حتي أنه ذكر أن كنيسة قيصرية كانت لها اليد في تكريس أساقفة الكنيسة الأرمينية من نسل جريجوري لفترة من الزمن .

إن بناء الكنائس قد مرت بمرحلتين مرحلة قبل حصول جريجوري على رتبة الكهنوت ، واقتصرت فقط على البناء وتشييد الأعمدة والمرحلة الثانية بعد حصوله عليها ، وهى مرحلة إقامة المذابح الكنسية التي استبدلها بعلامة الصليب حتى يستطيع أن يقيم مذبحاً ، وهذا بعكس تعيينه للكهنة والأساقفة فقد إستطاع أن يعيينهم قبل رتبة الكهنوت ، فعملية بناء كنائس كانت جماعية ، فأراد المؤلف أن يظهر كيف أن البناء الجماعي دليل على أن عملية التنصير أيضاً كان جماعي .

وقد استطاع جريجوري طمس الوثنية من خلال تكريسه للأساقفة من الكهنة الوثنيين ، وتعليمه المسيحية للأطفال، وأبناء الكهنة والتخلص من الوثنية في جميع بقاع أرمينيا وغيرها .

واستطاع أيضاً تبشير العديد من المناطق والمدن والأقاليم حتي قيل أنه قد وصل بأبرشيته إلي آمد

ونصيبين ، ووصلت أبرشيته للغرب أيضاً كل هذا في فترة قصيرة جداً ، ويبدوا أن هذه مبالغة واضحة ، ولكن لا يمكننا أن ننكر أنه قد استطاع أن يدخل المسيحية في أرمينيا ، وسمي أتباعه بالنورانيين حتي الآن نسبة إليه حيث لقب بالنوراني فهذا يدل علي عظم فضله علي الكنيسة الأرمنية .

وفيما بعد أصبحت تعاليم القديس جريجوري الأساس العقائدي والديني للأرمن ، فلم يتلقوا المسيحية وتعاليمها إلا من خلاله ، ويبدوا أن الكنيسة الأرمينية قد أبرزت تلك التعاليم لتستخلص منها ذاتية الكنيسة الأرمينية ورسوليتها، وليس ذلك فحسب بل لتجعل اللاهوت المسيحي الأرمني منفرداً قائماً بذاته .

تبين لنا أن القديس جريجوري حاول بكل قوته وأفني كل حياته في نشر المسيحية والتبشر بالإنجيل وقد نجح في ذلك ، واستطاع وضع أسس كنسية تسير عليها الكنيسة الأرمينية إلي الآن بكل المذاهب الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية ، والرغم من وجود مساوئ إلا أننا لا يمكن أن ننكر فضل جريجوري علي المسيحية وعلي أرمينيا .

وقد كانت علاقات الإمبراطورية الرومانية ، ومملكة أرمينيا لم تكن علي وتيرة واحده ، بل كانت علاقة مضطربة ففي بداية الأمر كانت علاقة اضطهاد بسبب محاولات الإمبراطور ماكسيمان لقمع المسيحية ، وأثناء تولي ابنه ماكسنتيوس الحكم كانت علاقة مضطربة أيضاً فبدأ الأمر بعلاقة تسامح للمسيحين حتي يكسب مؤيديه ، ثم تراجع وبدأ بالاضطهاد مرة أخري ،وظلت حالة الاضطراب هذه حتي ارتقي الإمبراطور قسطنطين عرش الإمبراطورية ، وتحولت العلاقة لود كلياً بعد إصدار مرسوم ميلان عام ٣١٣م الذي ينص علي التسامح الديني .

واتضح من علاقة أرمينيا بقيصرية أنها قد مرت بعدة مراحل متطورة بداية من استقبالها للقديس جريجوري حين كان رضيعاً في صغره حتي قامت بترسيمه جاثليقاً للكنيسة الأرمنية ، فقد كان التكريس هو بداية الكنيسة الرسولية المنظمة في أرمينيا ، وأن تشارك قيصرية فيه وتجعل جريجوري جاثليقاً لأرمينيا فهو حدث جلل يرفع من شأن كنيستها.

وكان التبشير بالمسيحية في الشرق والغرب في القرنين الأول والثاني علي يد تلامذة المسيح فجابت المسيحية جميع البلدان ، وتجمع جميع الناس تحت راية المسيحية، والإنجيل وبما أن الشرق كان له الأسبقية في نشر المسيحية فبقيت مدنه علي تواصل واتصال في جميع القري والأرياف لزمن كبير ، فنتج عن هذا عدة علاقات بينهم وبين كنائسهم وإن كانت كنيسة أرمينيا لم تؤسس بعد إلا أنه قد كان هناك تواصل بين الأرمن الذين بشروا علي يد القديسين والشهداء الأوائل بين كنائس المشرق (أنطاكيا وبيت المقدس والإسكندرية) وقدسييها ، خاصة بحكم موقع أرمينيا الجغرافي وقربهم من بعض فأسفر هذا عن وجود علاقات ، وإن كانت بعض العلاقات يملأها الغموض بسبب غموض بدايات المسيحية في أرمينيا في القرنيين الأول والثاني فلم يكن هناك دليل قاطع علي وجود العلاقات القوية بينهم إلا أننا لا يمكن أن ننكر حتمية وجود علاقات بسبب أهمية تلك الكنائس وموقعها . وقد انقسمت الرسالة إلي خمسة فصول يسبقها تمهيد وتنهيها خاتمة، عرض الفصل الأول نشأة جريجوري النوراني، فيما ناقش الفصل الثاني دور جريجوري النوراني في أرمينيا ( ٣٠١- ٢٧٩م) ، وتناول الفصل الثالث دور جريجوري في تأسيس الكنيسة الأرمنية، وركز الفصل الرابع علي دور جريجوري فى تأصيل المسيحية في أرمينيا والمناطق المجاورة، وأشار الفصل الخامس إلي علاقة كنيسة أرمينيا بالكنائس المسيحية الأولي.



## حوار مع الشاعرة الأرمنية المعاصرة روزان أساتريان

أجري الحوار: أ.عطا درغام

روزان شيراكي أساتريان ، شاعرة أرمنية، وإعلامية، وعضو اتحاد كتاب أرمينيا منذ عام ١٩٨٧. ولدت في ١٦ مايو ١٩٤٨، في قرية ماستارا، منطقة أراچاتسوتن ، وتخرجت من كلية اللغات في معهد وانادزور التربوي، وعملت في الصحف الجمهورية وفي هيئة الإذاعة والتلفزيون الحكومية، وأسست وحررت مجلة الكشافة «هايكازونك» ( ١٩٨٩ – ١٩٩١ )،وكانت عضوًا في عدد من المنظمات العامة (چويارت، الاتحاد الوطني للأرمن، صندوق الأمومة الأرمني، مركز م. ماشتوتس للثقافة الكلامية، اتحاد حماية الأطفال، إلخ)، بالإضافة إلى عضويتها في لجنة تسمية مدينة يريڤان ( ١٩٩١ - ٢٠٠٠ ). عملت في مجلة «عامل أرمينيا» ( ١٩٨٣ - ١٩٨٦)،وفي هيئة رئاسة جمهورية أرمينيا ، كأمين عام مجلس الثقافة التابع لرئيس جمهورية أرمينيا. ولها العديد من المؤلفات والمقالات، وأسست منظمة «ناخاڤكا «غير الحكومية ( ٢٠٠٥ ). وهي عضو في الأكاديمية الدولية للطبيعة والمجتمع ( ٢٠٠٦ ) واتحاد الصحفيين في أرمينيا .وهي مؤلفة ٣٢ كتابًا، منها: «أرارات يتنفس تحت جلدنا»، ٢٠٠١ ، و»صوتي في صدفة»، ٢٠٠٢» و «وردة الصحراء»، ٢٠٠٦، و»قيمة القرن هي الإنسان»،٢٠٠٨، وملح الأرض»،٢٠١٤، و»صندوق الجينات في خطر» و حصلت علي العديد من الجوائز، منها :»الميدالية الذهبية لوزارة الثقافة» في جمهورية أرمينيا عام ٢٠٠٨، ووسام «چاريچين نزده» من وزارة الدفاع في جمهورية أرمينيا عام ٢٠٠٨، و»ميدالية الاستحقاق الأدبي» من اتحاد الكتاب الأرمن عام ٢٠٠٨،و»وسام المارشال إيساكوف» من وزارة الدفاع عام ٢٠١٣، وميدالية «سفير اللغة الأم» من وزارة الشتات في جمهورية أرمينيا عام ٢٠١٣. ولأول مرة باللغة العربية تقدم مجلة أريك في عددها




المئوى لقرائها صاحبة القلم الحر والآراء السياسية الجريئة الشاعرة والصحفية الأرمنية المعاصرة روزان أساتريان

**ماذا يعني صحوة الروح الأرمنية في هذه اللحظة...؟**

نحن الأرمن محبون للسلام بطبعنا، لكن الدول المحيطة بنا ليست كذلك. والدليل على ذلك أنه من أصل ٤٢٠ ألف كيلومتر مربع من مساحة أرمينيا الكبرى، لم يبقَ اليوم سوى ٢٩,٨٠٠ كيلومتر مربع، وهي مساحة آخذة في التقلص باستمرار. أما الشعب الأرمني، بقلة عدد سكانه وصغر أراضيه، فهو... في سبتمبر، تعرض لهجوم من قبل أذربيجان المجاورة وحلفائها - تركيا وإسرائيل وروسيا، وكان لدينا ٥-٦ آلاف ضحية. هاجر ١٥٠ ألف أرمني إلى أرمينيا بعد تعرضهم للتطهير العرقي. إنهم يائسون ومضطهدون أخلاقياً... مستشهداً بالسلوك الأخلاقي لأسلافنا، ومؤكداً على الوطن كمكان للعيش، من أجل تنظيم الحالة الأخلاقية والنفسية للمجتمع، أظهر كل يوم تقريباً في شكل مكتوب، في الصحافة وعلى شاشة التلفزيون، كميكروفون مرشد... لكي لا أُسيّس

المقابلـة، سـأقول إننـي أحـاول رفـع روح الدفـاع عـن النفـس لـدى النـاس، وأنقـل إليهـم باسـتمرار الآمـال والمشـاعر الإيجابيـة، والحقيقـة والحقيقـة فقـط... بغض النظـر عـن عمـر النـاس، فـإن كل شـخص وحيـد بطريقتـه الخاصـة ويحتـاج إلـى كلمـة دافئـة وواثقـة. خـلاص كل أمـة يعتمـد علـى نفسـها... الوقـت يولـد بالضـرورة أبطـالاً وخونـة أيضـاً، ولـم نكـن بعيديـن عـن هـذا، فأنـا أكتـب عـن الأبطـال.

## لماذا خسرت أرمينيا...؟

لقد هُزمت لأن البلاد لم تكن مستعدة للحرب، ٢٠١٨ اندلعت ثـورة شـعبية فـي أرمينيـا، ودخلـت كـوادر شـابة تفتقـر إلـى الخبـرة والمهـارات الإداريـة والاحترافيـة فـي إدارة الدولـة، كمـا عرقلهـم مسـؤولون سـابقون تحولـوا إلـى معارضـة وبقـوا فـي الإدارة الداخليـة. كان العـدو مدججًـا بالسـلاح، مدعومًـا مـن تركيـا وحلفائهـا... وفـي ١٩٨٨ بـدأت أذربيجـان الإبـادة الجماعيـة للأرمـن فـي سـومغايت، وفـي غضـون ثلاثـة أيـام قُتـل ١٨٠ ألـف أرمنـي، وغـادر الناجـون سـومغايت. وكان مصيـر أرتسـاخ مصيـر مماثـل. فـي عـام ١٩٩١، نالـت أرتسـاخ اسـتقلالها عبـر اسـتفتاء شـعبي، وأُنشـئت جمهوريـة أرتسـاخ. كانـت أرتسـاخ المقاطعـة الثالثـة عشـرة لأرمينيـا الكبـرى، وخـلال الحـرب العالميـة الأولـى، وبعد الإبـادة الجماعيـة للأرمـن، أُعيد توزيـع الأراضـي، وضـم البلاشـفة أرتسـاخ، كمنطقـة تتمتـع بالحكم الذاتـي، إلـى أذربيجـان. عـاش الأرمـن فـي أرتسـاخ، ولم تستطع أرمينيـا مسـاعدة مواطنيهـا، مهمـا كان ذلك كارثيًـا علـى الأرمـن، لأن أذربيجـان بـدأت إبـادة جماعيـة جديـدة... كنـا نفكـر فـي إعـادة إعمـار البـلاد، لا فـي الحـرب... لهـذا السـبب خسـرنا.

## لقـد تـم تدميـر آرتسـاخ، هـل كانـت إبـادة جماعيـة؟

نعـم، لقـد كانـت إبـادة جماعيـة، حيـث تعرضـت آرتسـاخ لقصـف بأسـلحة محظـورة دوليـا، وطائـرات بـدون طيـار، وأسـلحة حارقـة للفوسـفور. كمـا تـم قصـف الكنائـس ومستشـفيات الـولادة ـ آلاف الضحايـا، والمفقوديـن، وكبـار السـن الذيـن تـم قتلهـم بوحشـية، وقطـع رؤوس الشـباب ... واغتصـاب النسـاء ـ تمامـا كمـا فـي «جحيـم» دانتـي ... اليـوم، فـي آرتسـاخ، التـي هجرهـا الأرمـن، تُرتكب إبـادة ثقافيـة أيضًـا: يُدمّـرون الخاتشـكار والآثـار والمقابـر، إنهـا بربريـة، أمـام أعيـن العالـم المتحضـر... ولا يسـعني إلا أن أضيـف أن أذربيجـان حاصـرت آرتسـاخ تسـعة أشـهر، قبـل أن تُرحّـل الأرمـن، وتحرمهـم مـن الخبـز والنـور والـدفء... كـم مـن طفـل مـات جوعًـا! عـذرًا، لا أريـد أن أسـتمر...

## مـاذا عـن التحالـف العسـكري الإيرانـي الأرمنـي وتأثيـره علـى المسـتوى السياسـي...؟

فـي التسـعينيات، عندمـا كانـت أرمينيـا تحـت الحصـار، كانـت إيـران وحدهـا هـي مـن أبقـت الطريـق مفتوحًـا، وكنـا نسـميه «طريـق الحيـاة»... هـذا رأيـي الشـخصي، لا تـزال أرمينيـا تمـر بوضـع صعـب اليـوم، وعلينـا البحث عـن سبل للخـروج منـه. لمـاذا مـن الضـروري إقامـة تحالفـات وديـة جـادة فقـط مـع إيـران وفرنسـا والهنـد ومصـر واليونـان؟ لمـاذا مـع إيـران؟ أولًا، هنـاك صداقـة راسـخة بيـن الشـعبين، وثانيًـا، لأن أرمينيـا تجـاور إيـران، وهـذا يعنـي أنـه إذا حُفظـت أرمينيـا، فـإن الحـدود الإيرانيـة سـتكون منيعـة. وحليـف قـوي كإيـران مفيد لنـا، ولـن يسـمح بفـرض الأحـكام العرفيـة علـى الحـدود الأرمينيـة... علينـا اسـتغلال ذلـك.

## فيمـا يتعلـق بحـرب المعلومات..مـاذا تقصديـن بهـذه المصطلـح..؟

الإعـلام أقـوى مـن الحـرب، فهـو قـادر علـى إلهـام النـاس وقيادتهـم إلـى النصـر، والعكـس صحيـح، وإضعـاف المجتمـع بتأثيراتـه المعنويـة والنفسـية ودفعـه إلـى الهزيمـة، لا سـيما وأن الجيش يقف علـى حـدود بلدكم. انتهك الجيـش الأذربيجاني اليوم حدود دولـة أرمينيـا ذات السيادة، وتجـاوز المنطقـة المحايدة، واحتـل مرتفعاتنـا الحدوديـة. وبالطبـع، وضعـوا، بالتعـاون مـع تركيـا، خطـةً لإنشـاء «طـوران عظيـم»، ويواجهـون مشـكلةً فـي تـرك أرمينيـا خاليـةً مـن

الأرمن. لهذا السبب، أحذر من تصديق الشائعات غير المؤكدة، ومن إضعاف شعب البلاد ودفعه إلى اليأس. هذا ما يهدف إليه العدو من خلال عملائه السريين الذين اجتاحوا أرمينيا. إن فقدان الدفاع عن النفس هو موتٌ لنا.

## ترددين دائمًا أن العرق الأرمني في خطر ..فهل هذا فعلًا ؟

نعم، في ناخيتشيفان، التي كانت أيضًا أرضًا أرمنية، حيث كان يعيش ١٦٠ ألف أرمني، لا يوجد أرمن اليوم. كسر الأذربيجانيون ١٠ آلاف خاتشكار، وُضعت على القبور، وحولوها إلى رمال، وملأوا نهر أراكس لمحو آثار الأرمن. أرسلنا العديد من الرسائل إلى اليونسكو بهذا الشأن، لكن لم يُتخذ أي إجراء. اليوم، أُفرغت آرتساخ أيضًا. ما قيمة أنتَ، هل يُمكنني فعل شيء جيد؟ تخيلوا، هاجر أجدادي من غرب أرمينيا، و ٨٠٠ شخص من قريتنا أُحرقوا أحياءً في القمامة... واليوم، أمام عينيّ، يرقد آلاف من أبنائنا الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢١ عامًا. العدو يهاجم جيناتنا...

## أليس هذا برنامجًا لإبادة الأرمن، هذا ما يُرتكب بحق سكان غزة اليوم؟ الأطفال لا يولدون من الأحلام...ما تفسيرك لهذه المقولة..؟

إمكانياتنا الوطنية عظيمة، لكن الدفاع عن النفس ناقص. نريد السلام دون أن نصبح أقوى... على مر العصور، لم يُدان المنتصر. الأمة الأرمنية أمة روحية، أمة علم وثقافة، وقد غزت عقولنا الكون، ولدينا عالم الفلك فيكتور هامبارد زوميان، الذي اكتُشف كوكبًا جديدًا في السماء على اسمه. كان عضوًا كامل العضوية في أكاديمياتٍ من ٦٠ دولة حول العالم، والملحن آرام خاتشاتوريان، والرسام مارتيروس ساريان، وجوهر چاسباريان، التي اشتهرت عالميًا بـ «العندليب المُغنّي»... آلافٌ في مجال العلوم والحرب. يكتب عالم الآثار البروفيسور شليمان، متحدثًا عن الحضارات: «لا ينبغي اعتبار اليونان بداية الحضارات، بل أرمينيا»... عاش بايرون شهورًا في جزيرة القديس لازاروس وتعلم اللغة الأرمنية، قائلًا: «أتعلم اللغة الأرمنية لأتحدث مع الآلهة...» يجب على الأمة الأرمنية، التي تمتلك ثروةً روحيةً هائلة، أن تكون قادرةً على جعل دفاعها عن النفس منيعًا، هذا ما أقوله... يمكنك أن تحلم، ولكن لكي تحلم، يجب أن تكون قادرًا على العيش...



## هل الهوية واللغة الأرمنية معرضتان للخطر؟

نعم، لدينا نحن الأرمن جالية كبيرة في الشتات، وجزء كبير منهم أبناء الناجين من الإبادة الجماعية الكبرى الأولى. الجيل يتغير، وإن لم يكن اليوم، فغدًا سيندمج، وكثيرون لا يعرفون القراءة والكتابة بالأرمنية. العولمة لا تعترف بالجنسية، بل تسعى إلى مساواة الجميع من أجل حكم العالم بسهولة. هذا برنامج للبشرية جمعاء. لا يرغب أي جيل في مواجهة الألم، ويُقدم هذا للبشرية كبرنامج تحت ستار الابتكار. في وطني، أرى تدفق هذا الشعور بالغربة. لدينا المؤرخ يچيشيه من القرن الخامس، الذي اعتبر أرمينيا موطن اللغة الأرمنية. تُشكل الأمم مشكلة للقوى التي تحكم العالم، واليوم يسعى الجيل الجديد أيضًا إلى تعلم اللغة الإنجليزية ولغات أخرى، هذا صحيح، إن لم يعرفها، فلن يجد عملًا، وتتدهور اللغة الوطنية تدريجيًا... اللغة طاقة حيوية، ناقل للحكمة الوطنية، هوية، إذا كنت تمتلك لغة، تصبح مواطنًا عالميًا، هذا ما يشغلني...

بالطبع، كم لغة؟ أنت تعلم أنك إنسان، لكن لا يجب عليك أن تنسى لغتك أبدًا... هذا ما يجعلك مختلفًا عن الأمم الأخرى، اللغة هي فكرة، وكل أمة لها لونها الخاص بين ألوان الكوكب. لا يمكن للحضارة والهمجية أن تتعايشا جنباً إلى جنب.

### لماذا تطالبين كل أرمني بحفظ قصيدة «نعم إيمانوش أرمينيا» للشاعر الأرمني الكبير يجيشي شارنتس؟

لأن هذه القصيدة هي الصورة الروحية والجسدية للوطن. شعر على قماش. لكي يتعرف من لا يقرأ الكتب على وطنه ويقدره بكرامة، لا يحتاج إلى قراءة كتب ضخمة وروايات تاريخية؛ يكفي قراءة أبيات شارنتس الستة عشر و...

يُمسح أرمنيًا. أريد أن أُلخص ذلك في رباعية.
أنا أحب الجانب المشمس من أرمينيا الجميلة،
أنا أحب وتر الساز القديم الحزين والباكي،
أنا أحب سماءنا المظلمة، والمياه الصافية، والبحيرة المشرقة،
شمس الصيف وعاصفة الشتاء بصوت التنين
هما رائعتان.../Y.Ch/.

هذه صورة شعرية تُعبّر عن الرابطة الدائمة بينك وبين دمك. الأمة قوية في هويتها. يمكن للشعر أن يكون قائداً إذا استطاع أن يضع يده على نبض الناس...

### ماذا تعنين ب» الدولة داخل الدولة»؟

هاجر سكان آرتساخ إلى أرمينيا، لكن آرتساخ بقيت في التاريخ كجمهورية. حدث خطأ ما في آرتساخ، والمسؤول عن هذا الخطأ ليست أرمينيا، بل الدول التي تعارضت مصالحها في منطقتنا... الزمن يعيد كل شيء إلى نصابه، ولهذا، يجب أن تُعزز أرمينيا، ويجب ألا يُشكّل تحالف جديد داخلها من قِبل أفراد ذوي مصالح منفصلة، ليس من أجل آرتساخ، بل من أجل مصالحهم الشخصية...

### كيف تكون « قوة القلم قوية جدًا، مثل السلاح القوي»؟

نعم، قلتُ ذلك. خلال الاجتماعات التي نُظِّمت معي، والتي كانت غالبًا ما تستمر لثلاث ساعات، لم يُنهَ الأمر بعد، وكان الجمهور يرغب في الاستماع والإنصات. في إحدى المرات، اقترب مني أحد المستمعين وعانقني وقال: «أنت قائد روحنا». كتبتُ عن ذلك؛ لم يكن الأمر صدفة، فالناس يشعرون بمن يستطيع قيادتهم. نعم، يستطيع الشاعر والناشر أن يُبدد الاكتئاب بقوة الكلمات، وأن يُنعش المتعبين، إذا كان الفرد خطيبًا، إلى جانب الموهبة التي وهبها الله له، لفظيًا وكتابيًا. من الضروري أن يحب المرء وطنه وشعبه... حتى لا تتدفق أنهار الدموع عبر وطنه... عندما سُئل إيسوب الحكيم عن أقوى شيء في هذه الحياة، أجاب: - اللغة... نعم، اللغة، فهي نتاج الفكر.




### إلى أي مدى كانت «الأم الأرمنية» هي الصحوة الجماعية للمرأة الأرمنية.؟

لدينا بطلٌ قومي، «چاركين نزده»، كتب في خطبه: « مصير الأمم بيد الأمهات»... كثيرًا ما أذكر نفسي بهذا في الأماكن التي تسود فيها النساء. من يصبح أطفالهم مجرمين، مدمنين على المخدرات، طائفيين، إلخ، من يتورط أزواجهم في الفساد، من تصبح بناتهم ربحًا لبيوت الدعارة، حيث تغيب النساء، ألا ينجبن أبطالًا وعلماء وأطباء وشعراء وفنانين؟ إذا كان القرن على أعتاب القبيلة، سواءً كانت امرأة أرمنية أو عربية، فعلى جندي الوطن أن يربي أبناءه الذين لن يخونوا ولن يتخلوا عن ساحة المعركة. من يعيش في هذا العصر مسؤول عن الجيل القادم.

## هل نحتاج إلى كاتب يتعامل مع كل ما يمر به بلده.» وهل يستطيع تغييره بقلمه...؟

إن محتوى السؤال عميق والجواب واسع، ولكنني سأتحدث بأمثلة محددة، وكان قادة ثورتنا في التسعينيات من المثقفين في الغالب، وكان أربعة منهم من الكتاب. والكاتب مواطن لبلده، وإذا كان البلد في خطر، فعليه أن يحول قلمه إلى سلاح، و لقد قرأت في مكان ما أن الشعراء هم أمناء الله على الأرض، وأن الله هو الحب، وأن الشاعر يجب أن يكون قائدًا، بغض النظر عما إذا كانت بلاده تفوز أو تخسر.

## ما رأيك في المشهد الثقافي الحالي في أرمينيا؟

إن الأمة الأرمنية أمة روحية، وتزدهر ثقافتها عندما يسود السلام أرضها، ومن الطبيعي أننا خلال هذه السنوات الأربع كنا نفكر في الضحايا من خلال كتابة الكتب وإقامة النصب التذكارية وتصوير الأفلام، ولكن مسرح دار الأوبرا والباليه في العاصمة كان مشغولاً أيضاً بالعروض النشطة التي قدمتها الأوركسترا الفيلهارمونية والجوقة الأكاديمية، كما تم مؤخراً الاحتفال بذكرى وفاة الملحن الموهوب تيجران منصوريان... إن أبواب مسارحنا مفتوحة، وكذلك معارض الفنانين، إلخ. والناس أنفسهم هم مصدر طاقتهم الخاصة، وهناك أيضاً العديد من العروض التي تقدمها مجموعات مختلفة مدعوة من الخارج. الثقافة هي خبز الشعب الأرمني، ومهما حدث فإنهم يحافظون دائمًا على رائحة هذا الخبز داخل أنفسهم. أعتقد أنها لم تكن مثالية، لكنها تمكنت من مواكبة الوضع.

وفيما يتعلق بالتواصل مع أرمن الشتات

بالطبع هناك علاقات، وخاصة ظهوراتي المتكررة على قناة نويان تابان التلفزيونية حظيت باستجابة كبيرة، وإلى جانب ذلك، فإن شبكات التواصل الاجتماعي تنشر منشوراتي كثيرًا، وأتلقى العديد من الرسائل. أنا مهتمة بمحتوى وعمق ما يُقال. لست متحمسة إلى هذا الحد، يجب أن أكون صادقة، هناك أنانية أكثر من فكرة الجماعية الوطنية ومشكلة إبقاء الأرمن المستقبليين في الشتات الأرمني...

## رزان الصحفية أم الشاعرة؟

الوطن واحد، شاعر أو صحافي، هذا مطلب العصر، و الشاعر الحقيقي لا يمكن أن يكون غير مبال بالأحداث التي تجري في بلده، والصحافي ليس شاعرًا، والشاعر الذي ولد من حضن شعبه لا ينبغي أن يصمت، لأن الشعب يقبل وينتظر كلمة شاعره، فهو حبه وبوقه. وخلال حرب الـ ٤٤ يوماً، لم أكتب الشعر، ظهرت في منشورات واسعة في الصحف وغيرها. أجرت صحيفة الأدب التابعة لاتحاد كتاب أرمينيا مقابلة معي حول سبب تركي للشعر. أجبت بأنني جندي في وطني، جندي يقاتل بقلم في الخطوط الأمامية، ولا أستطيع أن أنقل ما لدي لأقوله في المقالات، في الشعر، أثناء الحرب، لا يستطيع الناس إدراك الشعر، لأن أرواحهم وأطفالهم في محنة.... كلاهما ضروريان. أنا أواصل عمل تومانيان الرائع - كنت حتى في الخنادق أثناء الحرب... «الوطن يعيش بالحب ويموت من نقص الحب» - هذه هي كلمات أستاذي جاريچين نزده...

## نتيجة لآرائك السياسية الجريئة..هل تتعرضين لمضايقات أمنية ..؟

عندما تذهب ضد تيار النهر، لكنني أخذت كل ذلك في الاعتبار مسبقًا... إما أن تكون، أو لا تكون... الخيار لك، لا أحب التحدث عن نقاط الضعف... عليك أن تكون صادقًا مع نفسك حتى لا يتركك جوهرك.

## ما الجوائز التي حصلتِ عليها...؟

لا أحب أن أتحدث عن جوائزي، لأنها مجلة تصدر خارج الوطن، ولا أعتقد أن المجتمع الأرمني المحلي يعرفني جيدًا، لذلك سأحتفظ ببعض الأشياء في ذهني. أنا مؤلفة ٤٢ كتابًا، بعضها حُوِّل إلى مجلدات، واليوم أعمل على المجلد الثامن، و جميع مجلداتي حازت على جوائز، وأنا كاتبة حائزة على جوائز، وقد مُنح المجلد السابع من «الموتى الأحياء» الذي نُشر العام الماضي جائزة صندوق الأدب الأرمني

لكتاب أرمينيا قبل أيام قليلة، وما يقرب من ثلاثين وسامًا وميدالية، وأكثر من ٤٥ شهادة تكريم وامتنان، من المستحيل سردها جميعًا، فكل منها جائزة في مجالها. سأذكر اثنتين منها حتى يفهم القارئ: الميدالية الذهبية وميدالية «ناريكاتسي» من وزارة الثقافة في جمهورية أرمينيا، وميدالية «جاريجين نزده وأندرانيك أوزانيان» الذهبية من عمدة يريڤان، وسفير اللغة الأم لوزارة الشتات في جمهورية أرمينيا، ووسام رئيس وزراء جمهورية أرمينيا، ووسام الاستحقاق من اتحاد كتاب أرمينيا، وأوسمة مهمة أخرى مُنحت من قبل عشرات المنظمات العامة... لقد كنت ثلاثة عضو في عشرات المنظمات العامة، وعضو في مجلس الأمناء. أسستُ الحركات والمنظمات العامة « مايرازور» و»ماير هاياستان»، بالإضافة إلى «ناخافكا»، و الوطن مرآة، يعرف كيف يميز أبناءه النبلاء... كنتُ رئيس تحرير صحيفة «هايكازونك»، أول مجلة كشفية في أرمينيا، وشغلتُ مناصب قيادية...




## ما الفرق بين جيلكم من الشعراء والجيل السابق من الرواد؟

الفرق هو الزمن، فلكل قرن قصته الخاصة، ولكل جيل جرأة أفكاره. بالنسبة لي، كان أسلافي أكثر موهبة... وبالمثل، لم يكن لدينا مشرّع العصور الوسطى مخيتار جوش، ولا ناريكاتسي، ولا كوميتاس، ولا تومانيان وتشارنتس، مع أنني أُقدّر سيفاك وشيراز تقديرًا كبيرًا. لا أريد الخوض في التفاصيل وإهانة الحاضرين - لا يزال لدينا اليوم شعراء موهوبون، لكنهم يفتقرون إلى حاضر الأمة ومستقبلها... كان الزمن وسيبقى أعظم معلم لنا، ومهما قلنا، فلن يُفاجأ. يجب على كل أمة أن تعتز بالكنوز الروحية لطفلها الموهوب، باعتبارها إرثًا للهوية الوطنية. الفرق هو المكان والعقلية.

## ما مدى معرفتك بالشعب العربي...؟

أكنّ احترامًا عميقًا للشعب العربي لما قدمه من مساعدة جليلة لأحفاد الأرمن الذين شرّدهم الأتراك والأكراد إلى الصحاري العربية خلال المأساة الكبرى التي حلّت بالأمة الأرمنية مطلع القرن الماضي، إذ آووهم ونجاهم من المذبحة. كثير منهم، ومنهم ، فنوبار باشا الشهير وأحفاده، اعتبروا مصر لاحقًا وطنهم الثاني، وبذلوا جهودًا حثيثة لتقديم الشكر للشعب العربي على أعمالهم المخلصة. للصداقة الأرمنية العربية تاريخٌ يمتد لآلاف السنين. في الألفية الثالثة والثانية قبل الميلاد، حكم الهكسوس الأرمن مصر. كما كانت الصداقة دافئة في الألفية الأولى قبل الميلاد، و خلال عهد الملك تيجران الكبير، من القرن الثاني إلى القرن الأول الميلادي، تُروى قصة مفادها أنه خلال أيام حصار بيزنطة لعاصمة تيجرانا كيرت، شارك الملك تيجران الكبير في حفل تتويج ملك مصر، ولم يكن موجودًا في أرمينيا، فهاجم العدو أرمينيا، على علمه بذلك. ولا بد من الإشارة أيضًا إلى أن ملوك مصر كانوا غالبًا ما يختارون نساءً من مملكة ميتاني الأرمنية ملكات، ووفقًا للتاريخ أيضًا، كانت جدة الملكة نفرتيتي من أصل أرمني. الثقافة المصرية كونية، فمنذ آلاف السنين يحاول العديد من العلماء اختراق أسرار الأهرامات المصرية، ولكن لم يتمكن أحد حتى الآن من العثور على مفتاحها، و كان المصريون القدماء يتحدثون إلى الآلهة، وكان الأرمن القدماء يفعلون ذلك أيضًا. في عام ٢٠٠٣ كتبتُ كتاب «أبو الهول ينظر إلى أرارات»، يحتوي هذا الكتاب على حقائق كثيرة، وقد استعنتُ بأكثر من ٤٠ كتابًا... سأضيف جملة واحدة: «جبل أرارات، الذي يُعتبر رمزًا لأرمننا، والذي تسيطر عليه تركيا اليوم، يُنظّم الطاقة الكونية لكوكب الأرض، تمامًا مثل الأهرامات المصرية». وأنا أتابع الأحداث الجارية في العالم باستمرار، و نحن اليوم في خضمّ كوارث الحرب العالمية الثالثة.

برأيي، بدأت الحرب العالمية الثالثة على يد القوى الدولية الحاكمة مع «الربيع العربي»، شعرتُ بالندم على اغتيال رفيق الحريري، فانحنيتُ عند قبره في بيروت، وترك اغتيال القذافي في ليبيا انطباعًا عميقًا، رجلٌ حافظ على كرامة بلاده، وكان قلقًا على مستقبل الأجيال القادمة، كما شعرتُ بألم عميق لنهب مقتنيات المتحف الوطني العراقي، الذي يُمثّل قيمًا ثرية وهامة تاريخيًا، حيث توجد آثار أرمنية كثيرة هناك. وفي إحدى مقالاتي، تناولتُ إرادة بشار الأسد وشجاعته، وإن كان ذلك بصعوبة، إلا أنه يُحافظ على كرامة بلاده... أتابع أيضًا الإبادة الجماعية الفلسطينية هذه الأيام التي ترتكبها إسرائيل، و أتفهّم أمهات فلسطين الثكالى، اللواتي يتعرضن، بعد الأرمن، لنفس الإبادة الجماعية الوطنية على أرضهن، وإلى متى؟ ينشأ سؤال... ويمر الشعب العربي أيضاً بمرحلة صعبة في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين.

## ما هو المصدر الذي تستمدين منه أفكارك...؟

الأمة، تاريخها، أبطالها، ثقافتها، إنجازاتها وخسائرها، وتفانيها الثابت من أجل الوطن... لا يمكنني أبدًا تحقيق الكمال، وإذا فعلت ذلك، فسوف أتوقف، ولهذا السبب يظل كل شيء مستمرًا، حتى لا تتوقف الأجيال عن التفكير والسعي والإيمان...

كيف عبرت الشاعرة والكاتبة الأرمنية عن نسويتها؟

نشرت رواية « كاهنة القدر» حول نموذج تشكيل صورة للمرأة الأرمنية ، ما ينبغي أن تكون عليه امرأة أرمنية حتى تظل بلدها غير معقولة لأطفالها إلى الأمم... تربية الجيل بيد المرأة، نعم، سبق أن ذكرنا ذلك. ولكي ينال الكتاب استحسان القارئ، حوّلته إلى عمل روائي، لاقى استحسانًا واسعًا بين القراء...و نعم، الأدب النسوي ممكن، إذا تمت كتابته لغرض محدد.

## هل تراجعت مكانة الشعراء مقارنة بالعصور الماضية؟

نعم، أؤكد مجددًا أن النظام العالمي الجديد، المسمى بالعولمة أو التسطيح، يُقلّص جوانب كثيرة في حياتنا، كعدد البشر. ما يُمكن اعتباره وسيلةً للهوية والاستقرار والتوحيد للشعوب يتراجع تدريجيًا. في السابق، كان للدولة مجموعة من الكُتّاب الذين رسّخوا وجودهم في المجتمع، يُسمّون بكتاب البلاط، الذين كانت تخدمهم، أما اليوم، فيُنتخب قادة البلاد للقيادة، ولا مشكلة لديهم مع الشعراء... مع ذلك، سأختم بأبيات قصيدتي.

منذ ساعة كنت الله،

وبعد ساعة، المتسول،

ملك، حتى حارس الباب،

في هذا العالم العلوي،

عندما تكون في ومضة ثانية

إن معنى الحياة يعتمد على ذلك،

كل شيء مقبول..

## مذكرات نوبار باشا
## نموذجاً رائداً في كتابة المذكرات الشخصية وحبكة الأحداث التاريخية

أ.د.أحمدجلال بسيوني
أستاذ التاريخ والمعاصر- كلية الآداب
جامعة دمنهور

في العام ٢٠٠٩ صدرت «مذكرات نوبار باشا» عن مركز الدراسات التاريخية بدار الشروق بالقاهرة؛ مترجمة عن الفرنسية بقلم السيد جارو روبير طبقيان، مع تقديم تاريخي للأستاذة الدكتورة لطيفة محمد سالم، ومراجعة للدكتورة إلهام ذهني، هذا فضلاً عن وجود مقدمة وملاحظات بقلم ميريت بطرس غالي في الأصل الفرنسي، وهي المقدمة والملاحظات التي كان قد رجع فيها إلى أبناء نوبار باشا ودائرة محيطيه لاستجلاء بعض الأمور أو السؤال عن بعض الأشياء أو تدقيق بعض المعلومات، كان يشار لها في الهوامش فكان لها قيمة كبيرة تضيف لتلك القيمة الثرية التي طرحتها تلك المذكرات وخرجت في حلتها النهائية في كتاب يزيد صفحاته عن السبعمائة صفحة.

كتب نوبار باشا مذكراته بين عامي ١٨٩٠ و ١٩٩٤، وخصها لسرد الأحداث التي عايشها خلال الفترة من عام ١٨٤٢ حين وطأت قدماه مصر وهو ابن السابعة عشر ربيعاً، وحتى عام ١٨٧٩ باستقالته من نظارته الأولى في فبراير من هذا العام. ولم يكتب شيئاً عن نظارتيه الأخريين (١٨٨٤- ١٨٨٨)، و(١٨٩٤- ١٨٩٥)، اللتين كانتا في عهدي الخديو محمد توفيق (١٨٧٩- ١٨٩٢)، وابنه الخديو عباس حلمي الثاني (١٨٩٢- ١٩١٤)، على الرغم من زخم الأحداث التي حاقت بمصر الدولة واعتصرت المصريين الأمة خلال هاتين الفترتين، خصوصاً لازمت الفترة الباكرة من الاحتلال البريطاني.

والحقيقة أن لمذكرات نوبار باشا العديد من الأهميات على أصعدة مختلفة ولعل أولها انها مذكرات رائدة في هذا المجال من زاوية التدوين التاريخي لرجال الدولة. ولولا أن نوبار باشا بذهنه المتقد كان مدركاً لوجود من يشاركه انطباعاتِه، التي كونها وقت تلك الرحلة الطويلة عبر دهاليز الحكومة والإدارة المصرية، ما




كتب شيئاً، بل لعله اكتفى بما رأى أو سمِع لنفسه. وبذلك فحينما كتب لنا مذكراته تلك على هذا النحو، إنما قدم لنا الحقيقة التاريخية بأسلوب قصصي جاد، قد يخلط فيه بين مشاعره الخاصة وبين الحقيقة، فيمتزج عنده الذاتي بالموضوعي، وهذا ما يدفع الباحث للقراءة المتأنية الناقدة فيما كتب. وأكبر دليل على أهمية ذلك أننا خسرنا حقيقة خسارة كبيرة بعدم كتابة نوبار باشا شيئاً عن نظارتيه الأخيرتين (١٨٨٤- ١٨٨٨)، و(١٨٩٤- ١٨٩٥)، اللتين كانتا في عهدي الخديوين محمد توفيق، وابنه الخديو عباس حلمي الثاني. فأياً كانت الأسباب التي دعته إلى عدم الكتابة عن تلك الفترة، وأياً كانت تفاصيلها وأياً كانت ظروفة التي فرضت عليه ذلك، فنحن بالفعل أمام خسارة فادحة بالمعنى التاريخي لعدم كتابة نوبار باشا عن هذه الفترة المهمة جداً في تاريخ مصر، والتي كانت

متخمة بالأحداث التي حاقت بتاريخ مصر الدولة والأمة، خصوصاً لترافقها مع مجيئ الاحتلال البريطاني.
وأننا إذا كنا ننظر دوماً إلى شيخ المؤرخين المصريين عبد الرحمن الجبرتي المتوفي في نهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر كونه آخر مؤرخي الحوليات التي سطرها في سفره التليد الموسوم: «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، فإن نوبار باشا المتوفي أواخر الربع الأخير من ذات القرن كان أول كاتبي المذكرات الشخصية بمفهومها المعروف في عصر لم يكن يعرفها. ففي خلال هذا الربع الأخير من القرن التاسع عشر كتب يوسف حككيان ونوبار باشا وأحمد عرابي باشا مذكراتهم في سابقة جديدة ومهمة وذات دلالة، كلٌ من خلال تجربته ومسيرته وما آل إليه، وتظل مذكرات نوبار باشا وأحمد عرابي باشا على وجه الخصوص شاهدتان على هذا التحول النوعي في كتابة المذكرات الشخصية التي تتعرض لسرد أحداث جلل.
فما أن ولجنا القرن العشرين إلا وكثرت خلال نصفه الأول نشر مذكرات الساسة والسياسيين كموضة العصر، سواء أكانوا من الفاعلين الحقيقيين في الأحداث أو ممن أقحموا أنفسهم في تلك الأحداث ليجدوا لهم مكاناً، بل تخطت «موضة» كتابة المذكرات الشخصية السياسيين ليكتب آخرون كان لهم دور في مجال ما مذكراتهم لتكون حافظة لأحداث مسيرتهم أو عاكسة لروح العصر، أو ساردة لبعض القيم والعبر من تجارب الغير، ونخص بهذه النماذج الثلاثة المذكرات الثرية التي كتبها نجيب الريحاني، ونشرها تحت ذات العنوان: «مذكرات نجيب الريحاني»، والمذكرات التي كتبها ونشرها يوسف بك وهبي تحت العنوان الموسوم: «عشت ألف عام»، والمذكرات التي كتبها سليمان بك نجيب ونشرها باسم مستعار (أبوحنفي) تحت عنوان: «مذكرات عربجي». وما أن ولجنا النصف الثاني من القرن العشرين، إلا ازدادت وتيرة كتابة المذكرات الشخصية بصورة أوسع، وشملت فئات أكثر وفي كل المجالات والتخصصات تقريباً.

ونلاحظ أن كل تلك المذكرات التي تم نشرها خلال القرن العشرين أو ما يليه أو أغلبها الأعم كانت تُنشر في حياة أصحابها أو بُعيد وفاتهم بفترات قليلة، بما في ذلك من دلالة تنم عن رغبتهم الحقيقية في تدوين ما يريدون ونشره. أما في حالة مذكراتنا الخاصة بنوبار باشا، وهي مذكرات ثرية جداً جداً تعكس مسيرة رجل فاعل عاش في قلب قلب الحدث لنحو خمسين سنة كاملة، سطر فيها أحداث جسام هي تاريخ مصر بمره قبل حلوه بحق، عاصر خلالها سبعة حكام من أسرة محمد علي باشا على رأسهم مؤسس الأسرة نفسه. ومع ذلك فإن نوبار باشا كان حريصاً أشد الحرص على عدم نشر مذكراته في حياته، كذلك كان أبناؤه والمحيطين به، طبعاً لخطورة ما ورد بها من أحداث كان جميعها تمس أموراً للدولة العلوية التي كان أبناؤها لا يزالون يتقلدون مناصب حكمها، حتى لبعد وفاة نوبار بنحو ستة عقود تالية.
صحيح أنه حسب ما أورد ميريت بطرس غالي من ملاحظات أن نوبار باشا أعرب لزوجته عن رغبته في نشر ما كتبه عن الفترة التي عاصرها زمن محمد علي باشا وإبراهيم باشا وعباس حلمي الأول باشا ومحمد سعيد باشا، أي الفترة التي عاصرها من ١٨٤٢- ١٨٦٣، لكنه أبدى استحالة نشره ما كتبه عن فترة حكم الخديو إسماعيل (١٨٦٣- ١٨٧٩)، إذ كان نوبار باشا يرى أن هذه الفترات الأُول مجتمعة (١٨٤٢- ١٨٦٣) التي كان يرغب في نشرها وهو على قيد الحياة كانت بمثابة المقدمة، بينما المذكرات الحقيقية تتمثل فيما كتبه عن فترة حكم الخديو إسماعيل، وهو أمر باد بجلاء في عدد وحجم الفصول التي تحدث فيها عن كل فترة من تلك الفترات، فقد خصص لهذه الفترات الأُول مجتمعة (١٨٤٢- ١٨٦٣) ثلاثة أقسام من مذكراته تحوي ستة عشر فصلاً، بينما خصص لفترة حكم الخديو إسماعيل مستقلة قسماً واحداً رابعاً يحوي خمسة وعشرين فصلاً. إلا أن نوبار باشا في النهاية عزف عن فكرة نشر المذكرات كلية في حياته.
وبعد وفاته أبدى المتنفذون في فترة حكم الملكية المصرية أن الأوان لم يحن لنشر تلك المذكرات، وهو

مـا تفهمـه أبنـاء نوبـار باشـا. ثـم جـاءت ثـورة يوليـو التـي ارتـأى بعـض رجالهـا هـم الآخـرون أنـه لـم يحـن الأوان لنشـر تلـك المذكـرات، وهـو مـا احترمـه أيضـاً ورثـة نوبـار باشـا المهتمـون بهـذا الموضـوع، وظلـت تلـك المذكـرات فـي حـوزة ورثتـه إلـى أن رأت النـور بنشـرها بلغتهـا الفرنسـية المكتوبـة بهـا فـي بيـروت سنة ١٩٨٣، ومنهـا اقتبـس البعـض أو أشـار عـن هـذا الأصـل الفرنسـي ولـم تترجـم إلـى اللغـة العربيـة إلا خـلال العقـد الأول مـن الألفيـة الجديـدة علـى يـد جـارو روبيـر طبقيـان، ونشـرتها دار الشـروق، علـى النحـو المشـار إليـه آنفـاً، وهـي ذلـك النـص المعـروف بيـن أيـدي الباحثيـن والمهتميـن مـن يومهـا.

وكمـا اسـتبعد نوبـار باشـا نشـر تلـك المذكـرات فـي حياتـه، اسـتبعد كذلـك مـن مذكراتـه حياتـه الشـخصية، فقـد كان باديـاً تمامـاً أن الرجـل لـم يكـن يريـد أن يكتـب سـيرة ذاتيـة biography، ففـي كل الأحـوال لـم يكـن عليـه إلـزام بالكتـاة مـن أساسـه فـي زمـن لـم يكـن مثـل هـذا النـوع مـن الكتابـة معروفـاً، فضـلاً عـن احتماليـة أن تجـر عليـه مشـكلات كان فـي غنـى عنهـا، فضـلاً عـن أن الفتـرة الطويلـة التـي أمضاهـا فـي أروقـة الإدارة المصريـة فاعـلاً فـي أغلبهـا وليـس مفعـولا بـه أتاحـت لـه فرصـة اسـتثنائية فـي أن يكـن لديـه حصيلـة هائلـة يمكـن كتابتهـا. بمعنـى آخـر لـم يكـن نوبـار باشـا فـي احتيـاج لمـلء الصفحـات بأمـوره الشـخصية أو اصطنـاع مواقـف بطوليـة، فمـا عاصـره كان كافيـاً وبزيـادة لكتابـة شـهادة تاريخيـة خالصـة ومـن نـوع خـاص.

ولـذا فحينمـا اتخـذ قـراره الشـخصي فـي كتابـة مـا عاصـر –وهـو مـا نـراه قـرار جـريء جـداً سـواء لـروح العصـر وقتهـا، أو لطبيعـة شـخصية نوبـار باشـا اللماحة الذكيـة الحـذرة- فقـد كتـب نوبـار باشـا مذكراتـه وفـق مـا كان متـداولاً فـي أوروبـا القـرن التاسـع عشـر، ابتـداءً مـن الكتابـة باللغـة الفرنسـية، التـي كان يتقنهـا، وعلـى الأرجـح يفضلهـا أيضـاً، وصـولاً إلـى اتبـاع النظـام المعمـول بـه آنـذاك بعنونتـه العناويـن الجانبيـة ورءوس الموضوعـات التـي سـيتناولها فـي بدايـة كل فصـل مـن فصولـه الواحـد وأربعيـن التـي شـملها هـذا الكتـاب الثـري، وبيـن هـذا وذاك اسـتخدم نوبـار باشـا فـي كتاباتـه مصطلحـات متوافقـة مـع العقليـة الغربيـة/ الفرنسـية التـي كان يكتـب بلغتهـا، كأن يقـول لفظـة «الـوزراة» المسـتخدمة فـي الغـرب، وليـس «النظـار» كمـا هـو مسـتخدم فـي مصـر، أو «القسـطنطينية» كمـا كان يحـرص الغربيـون علـى نطقهـا وكتابتهـا، فـي إشـارة إلـى عـدم اعترافهـم بفتحهـا عـام ١٤٥٣م زمـن السـلطان محمـد الثانـي/ الفاتـح وتغييـر اسـمها إلـى: «إسـتانبول/ إسـطنبول/ إسـلامبول/ الأسـتانة»، والأمـر ذاتـه متشـابه باسـتخدامه لفظـة: «الإمبراطوريـة العثمانيـة» كمـا يكتبهـا الغربيـون، لا «الدولـة العليـة» أو «الدولـة العثمانيـة»، كمـا هـو معـروف فـي الشـرق، إذ لـم يكـن يحكـم الدولـة العثمانيـة إمبراطـوراً كمـا كان فـي رومـا القديمـة أو الإمبراطوريـة الرومانيـة المقدسـة أو فتـرة إمبراطوريـة نابوليـون بونابـرت الأول، وإنمـا كان يحكمهـا سـلطان. كمـا كان نوبـار باشـا يشـير إلـى المصرييـن عـادة بلفظـة «الأهالـي» وهكـذا...

أيضـاً يلاحـظ أن نوبـار باشـا أرخـى العنـان لقلمـه فـي كتابـة هـذه الفصـول الواحـد وأربعيـن، فكتـب كل فصـل كوحـدة مسـتقلة تعبـر عمـا كان يريـد طرحـه فيـه، وتـزن بيـن سـيل المشـاهدات والملاحظـات والانطباعـات التـي عايشـها، وبيـن اتزانـه وتوازنـه وحرصـه الشـديد وهـو واقـف علـى «خـط النـار» وتقلبـات الأمزجـة التـي كانـت تعتـري كل واحـد مـن حـكام تلـك الأسـرة العلويـة، وسـطرها لنـا نوبـار باشـا باقتـدار فيمـا كان يسـجل فـي مذكراتـه. ولعـل هـذا الأمـر هـو مـا جعـل الفصـول الواحـد وأربعيـن التـي يحويهـا هـذا الكتـاب غيـر متناسـقة فـي حجمهـا، إلا أنهـا جـاءة بصـورة عمليـة وواقعيـة للغايـة، إذ يمكـن للقـارئ أو الباحـث أو المهتـم أن يبـدأ بقـراءة كل قسـم أو فصـل علـى حدة دون الاحتيـاج إلـى العـودة لـكل الموضوعـات المطروحـة فـي هـذا الكتـاب الثـري مـرة واحـدة.

وفـي تلـك النقطـة ينبغـي الإشـارة إلـى أن اللغـة العربيـة لـم تكـن تتبـوأ مكانتهـا فـي أروقـة الإدارة المصريـة خـلال المرحلـة الأولـى مـن فتـرة حكـم الأسـرة العلوية، خصوصـاً عهـدي محمـد علـي باشـا وابنـه إبراهيـم وحفيـده عبـاس حلمـي الأول، وإنمـا أخـذت اللغـة العربيـة «تزاحـم» لتأخـذ مكانتهـا رويـداً رويـداً كلغـة

مـن بيـن لغـات أخـرى فـي دولاب العمـل الحكومـي، كونهـا لغـة «الأهالـي» الأولـى علـى كل حـال، وقـد اعتـرف نوبـار باشـا فـي غيـر موضـع أن مـن كانـوا يؤهلـون أبناءهـم لتبـوء مناصـب أو وظائـف مثـل تلـك التـي تبوأهـا ومـن قبلـه خالـة بوغـوص بـك يوسـفيان، لـم يضعـوا فـي حسـبانهم تعلـم اللغـة العربيـة لتراجـع مكانتهـا مقارنـة بالتركيـة/ العثمانيـة، واللغـات الأوروبيـة الحيـة وعلـى رأسـها الفرنسـية والإنجليزيـة، ولـذا كان علـى الوافديـن لبلـد مفعـم بالحيويـة والتجـدد كمصـر أن يتعلمـوا تلـك اللغـة العربيـة مـن خـلال ممارسـات الحيـاة اليوميـة وليـس مـن خـلال أروقـة العمـل الحكوميـة أو تعلمهـا فـي المـدارس التعليميـة.

ولهـذا لـم يكـن مطلوبـاً مـن نوبـار باشـا أن يكتـب بلـة لـم يكـن يملـك ناصيتهـا، ولـذا فقـد كتـب الرجـل مذكراتـه باللغـة التـي يعـرف مفرداتهـا ويمكنـه التعبيـر مـن خلالهـا عمـا يريـد أن يقولـه. غيـر أننـا بالمقابـل خسـرنا كتابـاً شـاهداً علـى تطـور اللغـة العربيـة فـي تلـك الفتـرة بيـن مـا كتبـه الجبرتـي وكتبـه نوبـار، وإن كان عزاؤنـا فيمـا كتبـه آخـرون كعرابـي باشـا بنقـف علـى حـال تلـك اللغـة التـي كانـت قـد تراجعـت بشـكل كبيـر ابتـداءً مـن احتـلال الأتـراك العثمانيـون للقاهـرة سـنة ١٥١٧، فقـد كانـوا أعجامـاً أجلافـاً لا يملكـون ذوقـاً ولا حسـاً ولا رؤيـة حضاريـة أو تنمويـة لأي مـكان خـارج عاصمتهـم، ففاقـد الشـيء لا يعطيـه، إذ أنـى لقبائـل رعويـة بدويـة اتخـذت مـن ظهـور الأحصنـة مسـكناً أن تُضيـف يومـاً لـلآداب أو الثقافـة؟، فقـد توسـعوا سـريعاً فـي رقعـة الخريطـة الجغرافيـة، لكنهـم لـم يسـتطيعوا التأثيـر فيمـن أخضعتهـم مدافعهـم لسـلطانهم، ولـم يكـن لديهـم لا تاريـخ ولا حضـارة ولا ثقافـة يصدرونهـا لهـؤلاء المنضويـن تحـت حكمهـم، خصوصـاً أن هـؤلاء الأخيـرون فـي المجمـل كانـوا أقـوى منهـم حضـارة وأعلـى منهـم ثقافـة. وحينمـا فوضـوا المماليـك فـي حكـم مصـر باسـمهم، ثـم جـاء محمـد علـي باشـا كانـوا جميعـاً مـن ذات النسـل والثقافـة، فلـم يكونـوا يعطفـون علـى تلـك اللغـة المحليـة. ولأن اللغـة والأدب كائـن حـي ينمـو ويضمـر بالممارسـة والاهتمـام والرعايـة والتجديـد، فقـد انعكـس آداء الحكـم التركـي العثمانـي البليـد علـى مسـتوى اللغـة العربيـة وآدابهـا، وبعـد نحـو قرنيـن ونصـف مـن بدايـة هـذا الحكـم كانـت اللغـة العربيـة قـد انحسـرت وتضاءلـت بصـورة مذهلـة، بـذات الصـورة التـي انحسـر فيهـا عـدد المصرييـن فـي ولايـة مصـر –أكبـر وأهـم ولايـة عثمانيـة- مـن نحـو اثنـا عشـر مليونـاً عـام ١٥١٧ لنحـو مليونيـن ونصـف فـي تعـداد الحملـة الفرنسـية مطلـع القـرن التاسـع عشـر. فبتكلـس وانهيـار كافـة المرافـق فـي البـلاد العربيـة تكلسـت اللغـة وانحسـرت فـي المحسـنات البديعيـة والسـجع والإنشـاء، وكل هـذا كان علـى مسـتوى فئـة بسـيطة مـن علمـاء الأزهـر ومـن وازاهـم، ولـم تبـدأ اللغـة تسـتعيد عافيتهـا إلا ابتـداءً مـن إنشـاء الدولـة المصريـة مطبعـة بـولاق فـي نهايـة الربـع الأول مـن القـرن التاسـع عشـر، وإرسـالها البعثـات العلميـة إلـى أوروبـا، ثـم نقـل التجربـة لبلـدان الشـام إبـان الحكـم المصـري فـي ثلاثينيـات ذات القـرن، ثـم مجـيء البعثـات التبشـيرية للشـام بعـد انتهـاء هـذا الحكـم، ومعهـا أحضـرت المطابـع بالأحـرف العربيـة، وأنشـأت المـدارس وجعلـت العربيـة لغـة التعليـم بهـا، فـكان لهـذا الجانـب دوره الكبيـر فـي رفـد الثقافـة العربيـة وتطورهـا، كمـا كان لهـا آثارهـا الكبيـرة فـي تعميـق الانقسـامات المذهبيـة والضغائـن القائمـة علـى أسـاس دينـي أو مذهبـي.




ومـن خـلال هـذه المطابـع أعيـدت طباعـة أمهـات الكتـب، وظهـرت الحاجـة لبنـاء لغـوي يشـكل وعـاءً

معرفياً يناسب أعمال الترجمة القائمة آنذاك، والتي ازدات وازداد تأثيرها بانتقال كثير من مظاهر الحياة الأوربية إلى المجتمعات الشرقية، وما تبع كل ذلك من ازدياد الوعي العام لدى الشعوب العربية بأن لهم هُوية مختلفة عن تلك التي صيغت لهم إبان فترة الاحتلال العثماني، فشاعت الأدبيات التي تنادي بمفهوم الوطن والوطنية ومفهوم الهوية العربية، ابتداءً من كتابات رفاعة الطهطاوي ومن تأثر به أو سار على نهجه كبطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وناصيف اليازجي، إلى أن نصل لرشيد رضا ونجيب عازوري وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم كلٌ في بلده وفنه وتوجهه، وهكذا فلا عجب أن تكون مصر والشام متصدرتان المشهد في محاولة إصلاح اللغة العربية وآدابها والارتقاء بهما كحركة ثقافية فكرية اشعلت تيار اليقظة العربية، وسرعان ما انتقلت لأدبيات السياسة فازدادت الهوة بين العرب والأتراك بصورة ملحوظة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

أظهر نوبار باشا من خلاله ما كتبه في مذكراته أنه كان رجلاً ذو شخصية قوية، متعلم تعليم راق، متعدد روافد الثقافة، ومتكلم بالعديد من اللغات، لديه العديد من الملكات الخاصة في التفكير والتحليل والتفسير والمقدرة على اتخاذ القرار، ومع كل ذلك مقدرة بارعة متمكنة في مقدرته على متى يمكنه التحدث ومتى يلزم السكوت، وهو ما انعكس بوضوح على كامل حياته بحيث جعلته محل تقدير واهتمام من كل حكام مصر السبعة الذين عاصرهم من محمد علي باشا إلى الخديوي عباس حلمي الأول، وهو ما ظهر كذلك في ثراء المعلومات التي أوردها في مذكراته، خصوصا وأنه تقلب في المناصب الإدارية والسياسية بصورة لم يحظ بها أحد مثله تقريباً على مدار نحو نصف قرن كاملا.

ونظراً لريادة نوبار باشا في هذا المجال من الكتابة فقد أجهد بعض المختصين أنفسهم حول توصيف ما كتبه إذا كان مذكرات أم ذكريات أم يوميات، خصوصا أنه كتبها حينما ناهز الخامسة والستين من عمره، وقد تداخلت فيها أحداث بعض السنوات، أو أنه في كثير من أجزائها لم يتقيد بترتيب زمني لسنوات سردها. لكننا الآن نشفق على الوقت الذي أضاعه هؤلاء المختصون والمهتمون في تفنيد هذا الأمر، لأنه في كل الأحوال فإن ما كتبه نوبار باشا -وأي شخص آخر كتب مذكرات أياً كانت قيمتها ومستواها- فإن عامل الذاتي يظل موجوداً ومتغلباً مقارنة العامل الموضوعي، لأن كاتب المذكرات كانت أم ذكريات أم يوميات يكتب تجربته وفق أدواته وزمنه وموازينه هو، وطبيعي جداً أن يختلط الخاص بالعام، والذاتي بالموضوعي، إلا أننا في كل الأحوال نكون أمام حقيقة: «اللي كتب غلب» كما يقول مثلنا الشعبي، وهذا بالضبط ما فعله نوبار باشا.

فالأهمية التاريخية لما كتبه نوبار باشا لا تتوقف عند سرده أحداث فترات زمنية غاية في الدقة للتاريخ المصري الحديث فقط، وإنما تتعداها إلى كونها مادة دسمة مزودة بالحكايات المسلية ذات الدلالة، والمعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والجغرافية والتاريخية ذات المكانة، والتي يمكن إعادة توظيفها بمنهجيةٍ علميةٍ حديثةٍ، تساعدُنا على فهمِ طبيعة مجتمعنا في الماضي. فضلا عن تزويدنا بمعلومات عن أماكن لم نرتدها، ونستحضر زمناً لم نعشه، ونقابل أشخاصاً لم نعرفهم، ونلامسُ أرضاً لم نطأها، ونستحضرُ ثقافات وممارسات وعادات لأقوامٍ لم نرها، حتى وإن كنا نعرفهم أو نظن أننا نعرفهم.

لكن في كل الأحوال كان لهذه الشواهد التي رأها والانطباعات التي كونها نوبار باشا أهمية كبيرة من زاوية أخرى، لأنه اجتهد أيما اجتهاد في وصف كل ما رأه وعاصره ولفت انتباه كالتمايز في الملابس مثلاً ودلالة ألوانها وقطعها المختلفة، أو طريقة جلوس محمد علي باشا أو إبراهيم باشا، وطريقة اتخاذهم القرار، أو أشكال وأحوال الحرس والعبيد والموظفين، والأهم وصفه لاستمرارية وجود المماليك كحراس مخلصين في حضرة محمد علي باشا وابنه إبراهيم على وجه الخصوص، وهي ملاحظات مهمة لفهمنا بنية الأحداث التاريخية، لأنه كان لهذين الأخيرين ممارسات دموية استأصلت شأفة هؤلاء المماليك نهائياً أو هكذا كنا نتصور.

وبالتالي فما طرحته مذكرات نوبار من هذه الزاوية وحدها -والمذكرات ثرية بهذه التفاصيل المذهلة- تعد درة نفيسة وجوهرة غالية ينبغي التوقف أمامها للاستفادة مما حوته من تفاصيل يمكنها إعادة رسم صورة أخرى موازية لأحداص التاريخ الذي نعرفه، أو الذي كنا نظن أننا نعرفه.

فالفصول الأول من مذكرات نوبار باشا من الأهمية بمكان جداً جداً جداً لوصف تفاصيل حياة فترة محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا وحفيده عباس حلمي الأول باشا. وأننا لو أخذنا بمفهوم أهمية المذكرات الشخصية كما هو متعارف عليه فإنني أرى أن الفصول التي تحدث فيها عما رآه في معية محمد علي باشا لهي أهم بكثير (في إطار كونها مذكرات) من الفصول الكثيرة التي تحدث فيها نوبار باشا عن فترة الخديو إسماعيل (في إطار كونها حقائق تاريخية عليها أدلة ثبوتية وشواهد مادية)، لأن فيهما كانت فكرة «الانطباعات الأولى تدوم»، فضلاً عن دقة الوصف وندرة المعلومات التي طرحها نوبار في تفاصيل الشخصيات، فأنت تعرف محمد علي وإبراهيم المهيب وعباس حلمي الأول الموصوف بالعنيف، لكنك لا تعرف عن حياتهم الشخصية وطباعاهم وتقلبات أمزجتهم الكثير، وكان نوبار هو المرافق والمتابع والمدقق والمحلل والمراقب لكثير من تلك الأمور، فجاء وصفه لكثير من تلك الأمور الإنسانية في غاية الأهمية والقيمة التاريخية.

ومما يزيد من أهمية هذا الأمر أن نوبار باشا حينما كان يسبر أغوار إحدى القضايا التي يتحدث عنها كان يبدي بجلاء إلماماً بالقواعد العامة لتطور التاريخ المصري بصوة رأسية، ليس بذاكرة أو انطباع، وإنما بدراسة وقراءة تؤدي إلى تكوينه هذا الانطباع، إذ كان يرجع إلى ما كتبه شامبليون أو بعض الفرنسيين عن التاريخ المصري القديم، لكنه دوماً كان يرجع إلى المذكور في الكتاب المقدس. و ما أن يدخل فترة أواخر حكم المماليك تجده ثاقب التحليل قوي التعبير عما يريد قوله بصورة ممتازة، مثال ذلك ما كتبه في تطور حركة نقل البريد بين الاسكندرية فالقاهرة فالسويس، ثم الدور الذي أضافه محمد علي باشا وحتى توقيع اتفاقية السكة الحديد.

كذلك كان نوبار شديد الدقة في تحليل كينونة ملكية الأراضي في مصر منذ القدم وإلى زمانه، بل ومقارة طبيعة هذه الملكية بالملكيات المشابهة لها في الأراضي المعتمدة على الأنهار كأراضي مابين النهرين، والأخرى الصحراوية أو المعتمدة على الري بالأمطار. كذلك كان لدية مقدرة يمزج بها الخاص بالعام عند الحديث عن بعض تلك الموضوعات مثل حديثه عن عباس الأول باشا وكبار الإقطاعيين الذين خدموا جده ورغبته في التخلص منهم بمنعهم من ممتلكاتهم التي باتت عبئاً عليها بسبب كثرة الضرائب. فقد كان مقارنات نوبار باشا الدائمة بين نظام محمد علي وكل من أتى بعده منذ عباس ومن تبعه قائمة باستفاضة فيما يكتب ويوضح من خلالها التطور الذي انتاب هذه القضية أو تلك، وهو ما قاله بالفعل عدة مرات في مذكراته منها المكتوب في ص ١٥٤ عند مقارنته بين تطور ملكية الأرض والتعامل مع الفلاح في عهدي محمد علي باشا وعباس حلمي الأول باشا وتجربته الشخصية وأخيه وخاله معهما.

كان نوبار يعرض الموضوع بعقلية الرجل المخضرم الذي استوعب الأمور تماماً ثم هضمها، ثم شارك في صنع الأحداث بصورة رئيسية، ويعيد طرحها بقوة في مذكراته بفهم عميق وطرح قوي. ولم يكن مجرد ناقل للأحداث أو مروج لها من منظور المتفرج أو الباحث أو الأكاديمي أو المؤرخ، وإنما كان مزيجاً بين كل هؤلاء، مضافاً إلى كونه مشارك أصيل في صناعة الحدث التاريخي ولديه من الأوراق والوثائق التي خطها بنفسه ما كان يعينه على استرجاع المعلومات للموضوعات التي كان يطرحها، فامتزج عنده الخاص بالعام والعام بالخاص، للدرجة التي لم تكن تدفعه لمحاولة تبرئة نفسه من قضية ما أو تمجيدها في قضية أخرى.

كل هذا ويمكن للقارئ أن يلحظ بسهولة أن نوبار باشا كان يكتب ما هو مقتنع به، ويمكن استشفاف ذلك من رأيه في رجال عباس باشا على سبيل المثال، أو رأيه في السخرة أو ضريبة الفردة أو الاستدانة أو غيرها من الموضوعات التي أفرد لها مساحات كبيرة في مذكراته الثرية للغاية. وهو في

هذا المضمار وكأنه عبر بالكتابة عما يؤمن به، والذي لم يكن بالضرورة يمكنه البوح به علانية في كل موقف يتعرض له بصورة مباشرة، إذ كان نوبار باشا بطبعه من البارعين في مسك العصاة من الوسط، والسير على حبل رقيق وسط عواصف النيران بفطنة وذكاء واستمرارية، وهو ما مكنه في الديمومة في كل تلك المناصب عل اختلاف تخصصاتها، والاستمرار مع كل هذا العدد من الحكام من أسرة محمد علي على اختلاف توجهاتهم وتناقضاتهم وتبدل أحوالهم وتغير أمزجتهم.

ولم يكن هذا الأمر بغريب لمن يفهم أو يتخيل طبيعة شخصية كنوبار باشا، لكنه بات مهما لفهم بنية الأحداث التي كتبها نوبار باشا حينما بلغ ذروة نضجة الإداري، وتألقه السياسي، وترقيه الوظيفي، لأن هذا الأمر انعكس على طريقته في صياغة الأحداث التي كان يكتب عنها، وكان حريصاً كل الحرص على إبراز «دوره الأخلاقي» فيها إن جاز التعبير، فكانت فكرة أنه يكتب أو يعمل ما يقتنع به مسيطرة بوضوح في كتاباته عن تلك الأحداث، التي كان بالطبع شريكاً أساسياً في صنعها، لأنه هذه المرة كان يكتب من موقعه الإداري هذا وليس من موقعه كمراقب أوملاحظ لما كان يدور حوله وأمام عينيه كما كان في بدايات حياته في مصر. ويمكننا اعتبار حديث نوبار باشا عن مشروع السكة الحديد، والتي كان له دور كبير جداً في إتمام هذا المشروع، فضلاً عن ترؤسه لفترة من حياته، أو من خلال موقعه كمدير لمجلس الصحة بجانب عمله مستشاراً للوالي عباس حلمي الأول باشا، هما نقطة التحول في أسلوب كتابته، أو قل التدرج في هذا الأسلوب من شخص كان يكتب ذكريات مخلوطة بانطباعات أولية كان لها أثرها الممتد في نفسه، إلى أسلوب آخر من الكتابة كان يتناسب مع رجل دولة صارم ومحدد فيما يكتب يحمل «حساً أخلاقياً» بجانب التزامه الإداري، ولا ننسى أبداً أنه كان من البداية محدِداً وجهته ونوعية جمهوره الذي كتب له كل تلك الأحداث باللغة الفرنسية التي كان يجيدها ويأنسها ويحب التعبير عن أفكاره بها.

وقد استمر هذا النهج في كتاباته لباقي الفترات التالية خلال عهدي محمد سعيد باشا والخديو إسماعيل حتى نهايته مذكراته، وهو الأمر الذي برز بجلاء فيما كتبه عن موضوعات في فترة حكم سعيد باشا كمشروع حفر قناة السويس وأفعال فرديناند ديليسيبس، وأثر ازدياد الهجرات الأجنبية إلى مصر وما رافقها من زيادة في الامتيازات الممنوحة للأجانب، وكذلك ازدياد في المشكلات واستفادة المغامرين الأجانب بمساعدة قناصلهم من حالات التسيب والبذخ المفرط التي بدت واضحة في عهد سعيد باشا، وكثرة طلبياتهم المبالغ في أثمانها، وموافقة الوالي عليها بكل سهولة، وغيرها من الموضوعات التي كان يعلن نوبار باشا معارضته لها خلال عهد سعيد باشا كعدم اكتراث الوالي بالأمور الإدارية، وكثرة طلباته للقروض التي كان يرفضها نوبار كتابة، وخضوع الممتلكات العقارية للضرائب العشورية، وغيرها. كذلك اهتم بوضوح في تفنيط دوره حينما عُين رئيساً لمحكمة الاستئناف برتبة عالية، وحسمه لما رأه إصلاح الفساد الذي كان مستشرياً في السكة الحديد حينما عين مديراً

لهـا، وحتـى إقالـة سـعيد باشـا لـه مـن هـذا المنصـب. أمـا فـي عهـد الخديو إسـماعيل فقد تبوأ نوبار باشـا ذروة وهجـه الإداري والسياسـي، وهـو مـا ظهـر مـن البدايـة بكتابتـه خطـاب الوالـي الجديـد أمـام الهيئـة القنصليـة، واختيـار إسـماعيل باشـا نوبـار ليكـون رسـوله الخـاص لإسـتانبول لإبلاغهـم بوفـاة الوالـي محمـد سـعيد باشـا وترتيـب أمـور تولـي إسـماعيل باشـا للحكـم، ثـم كانـت أول صحبـة للوالـي الجديـد إلـى الأسـتانة مـع نوبـار، ثـم سـتتكرر هـذه السـفرات إلـى إسـتانبول ليتفـاوض نوبـار عـن إسـماعيل باشـا فـي رغباتـه بالحصـول علـى لقـب خديـو وحصـر الولايـة فـي أبنائـه الذكـور مـن بعـده وليس فـي عمـوم ذكـور أسـرة محمـد علـي. وبعـد ذلـك دوره الكبيـر فـي تقليـص امتيـازات قنـاة السـويس التـي كان قـد منحهـا سـعيد باشـا لديليسـيبس وشـركته، وكان نوبـار ممتعضـاً معترضـاً عليهـا فتـرة حكـم سـعيد باشـا، لكنـه فـي فتـرة لاحقـة تـم تعيينـه وزيـراً للخارجيـة ممـا أعطـاه سـلطة ونفـوذاً أقـوى فـي التعامـل مـع مثـل تلـك القضيـة المحوريـة.

أيضـاً يشـرح لنـا نوبـار باشـا مـن خـلال مواقعـه الرسـمية العديـد مـن القضايـا العامـة كوبـاء الكوليـرا وكيفيـة مواجهتهـا، أو تلـك القضايـا العامـة الأخـرى لكنهـا شـغلته شـخصياً كقضيـة السـخرة، خصوصـاً وقـت شـغله نظـار الأشـغال العموميـة، وترأسـه مجلـس إدارة السـكك الحديديـة، وتكريسـه لهـا جـزءاً مهمـا فـي شـرح أبعادهـا ودوره فـي محاربتهـا فـي الـري والسـكك الحديديـة. كذلـك أفـرد نوبـار باشـا مسـاحات كبيـرة مـن مذكراتـه خـلال فتـرة حكـم الخديـو إسـماعيل لنظـام المحاكـم المختلطـة، وآليـات العمـل بهـا ودوره الكبيـر فيهـا وفـي قضيـة الإصـلاح القضائـي والحـد مـن الامتيـازات الأجنبيـة بشـكل عـام. ولـم ينـس نوبـار أن يبـرئ نفسـه مـن دوامـة القـروض التـي دخلـت فيهـا مصـر بسـبب إسـراف الخديـو إسـماعيل فـي عقدهـا، إذ كان نوبـار باشـا حريصـاً علـى التأكيـد مـن أول مـرة اسـتدان فيهـا الخديـو إسـماعيل، أن تلـك الاسـتدانة لـم تكـن فـي حضـوره أو بمعرفتـه، وإنمـا تمـت أثنـاء غيـاب نوبـار باشـا عـن مصـر.

كذلـك لـم يخـف نوبـار باشـا امتعاضـه مـن تبذيـر الأمـوال التـي جمعـت بمقتضـى قانـون المقابلـة، أو مـن تلـك السياسـات الضرائبيـة والتعسـفات فـي جمعهـا، أو كثـرة المصـادرات والإفـراط فـي أعمـال السـخرة، وغيرهـا مـن الممارسـات المتعسـفة الفاحشـة التـي أنهكـت الفلاحيـن وزادت ديونهـم وكانـت بدايـة لمسـتقبل مظلـم سـينتهي بعـزل الخديـو إسـماعيل نفسـه، والتمهيـد للاحتـلال البريطانـي، وهنـا توقـف نوبـار باشـا ولـم يكمـل مذكراتـه بعـد العـام ١٨٧٩، لكنـه فـي كل الأحوال رصـد لنـا تجربـة هائلـة ممتـدة لنحـو نصـف قـرن كان فيهـا صانعـاً للأحـداث فاعـلاً، وصاغهـا بصـورة حرفيـة واقعيـة منحـازة مـن البدايـة، إلا أنهـا جعلتنـا نعايـش الأحـداث ونتخيـل صانعيهـا بسـبب تلـك الحبكـة الرائعـة التـي صـاغ بهـا نوبـار باشـا مذكراتـه، ممـا جعلهـا تتبـوأ باقتـدار وصفهـا أنهـا نموذجـاً رائـداً فـي كتابـة المذكـرات التاريخيـة، ومعينـاً خصبـاً للمؤرخيـن والباحثيـن والمهتميـن لينهلـوا منهـا علمـاً ونقـداً ورأيًـا.

# أم كلثوم
# خمسون عامًا من الخلود



د سحرحسن أحمد

فـي رحـاب الزمـن، حيـث تتلاشـى الأصـوات وتتبـدد الألحـان، يبقـى صـوت أم كلثـوم وحـده متجذرًا فـي وجدان الأمـة، كشـدو لا يخفـت، ونـور لا ينطفـئ. خمسـون عامًـا مضـت منـذ رحيلهـا، لكنهـا لـم تغـب، بـل ازدادت حضـورًا، كأنهـا وُهِبـت سـرَّ الخلـود بيـن النغـم والكلمـة.

فكيـف لامـرأة أن تختصـر تاريخًـا، وأن تُصبـح بوصلـةً للوجـدان العربـي، تُطربـه حيـن يفـرح، وتواسـيه حيـن يئـن، وتُلهـب روحـه حيـن يثـور؟ لـم تكـن أم كلثـوم مجـرد صـوت، بـل كانـت ملحمـة تتجـدد مـع كل مسـاء، يترقبهـا العشـاق، ويترنـم بهـا الحالمـون، وترسـخ فـي الذاكـرة الجمعيـة كشـجرة سـامقة لا تهزهـا العواصـف؛ إذ تُعـد أم كلثـوم، أيقونـة الغنـاء العربـي، هـي واحـدة مـن أعظـم المطربـات فـي تاريـخ الموسـيقى العربيـة. اسـتطاعت بصوتهـا القـوي وأدائهـا الفريـد أن تتـرك بصمـة خالـدة فـي قلـوب الملاييـن مـن محبيهـا فـي العالـم العربـي وخارجـه. مـن بداياتهـا البسـيطة فـي قريتهـا الصغيـرة إلـى تألقهـا علـى أعظـم المسـارح، كانـت حياتهـا مليئـة بالإنجـازات والصعوبـات التـي جعلـت منهـا أسـطورة لا تُنسـى.

واليـوم، نفتـح نوافـذ الحنيـن، ونسـتعيد مشـاهد مـن زمـن الفـن الأصيـل، ونغـوص فـي أعمـاق تلـك التجربـة الاسـتثنائية التـي جعلـت مـن أم كلثـوم أسـطورة لا تُمحـى، وسـيدة للحضـور الـذي لا يبهـت مـع تعاقـب الأيـام. فمرحبًـا بكـم فـي رحلـة عبـر الزمـن، حيـث لا يـزال صوتهـا يمـلأ الأفـق، ويهمـس فـي أسـماعنا: «هـل رأى الحـب سُـكارى مثلنـا؟»

## أم كلثوم: سيرة ومسيرة

فـي دنيـا الفـن، هنـاك أصـوات تمـرُّ كالعابريـن، وأخـرى تُخلَّـد كأطيـاف لا تغيـب، لكـن صوتًـا واحدًا تجـاوز حـدود الزمـن، ليصبـح ذاكـرةً للأمـة، ووجدانًـا يُـردد أنغامـه جيـلٌ بعـد جيـل... إنهـا أم كلثـوم، تلـك السـيدة التـي لـم تكـن مجـرد مطربـة، بـل كانـت مدرسـةً فـي الأداء، وأيقونـةً فـي




العطـاء، ورمـزًا لـلإرادة والتفـرد.

وُلـدت فـي قريـة بسـيطة، لكنهـا حملـت فـي صوتهـا شـموخ النيـل وعظمـة الأهـرام، وسـارت بخطـى ثابتـة مـن التواشـيح الدينيـة إلـى صـدارة المجـد الفنـي، متوجـةً بلقـب «سـيدة الغنـاء العربـي». لـم يكـن طريقهـا مفروشًـا بالـورود، بـل كان مليئًـا بالتحديـات، لكنهـا حوّلـت كل عقبـة إلـى درس، وكل تجربـة إلـى إنجـاز.

فـي هـذه الرحلـة، نسـتعيد ملامـح سـيرة اسـتثنائية، ونقـف عنـد محطـات مسـيرة امتـدت عقـودًا، حيـث غنّـت للحـب، للوطـن، وللإنسـان، فصـارت رمـزًا خالـدًا يختصـر تاريـخ الموسـيقى العربيـة. فمرحبًـا بكـم فـي عالـم أم كلثـوم، حيـث الكلمـة تهـز المشـاعر، واللحـن يسـكن القلـوب، والصـوت يحفـر اسـمه فـي ذاكـرة لا تمحوهـا الأيـام.

## الميلاد والنشأة

ولـدت أم كلثـوم فـي ٣١ ديسـمبر ١٨٩٨ م ( أو بحسـب بعـض المصـادر عـام ١٩٠٤م ) فـي قريـة طمـاي

الزهايرة التابعة لمحافظة الدقهلية في مصر. واسمها الحقيقي فاطمة بنت الشيخ إبراهيم السيد البلتاجي نشأت في بيئة ريفية بسيطة ضمن أسرة متدينة، وكان والدها يعمل إمامًا لمسجد القرية، مما جعلها تتأثر منذ الصغر بالإنشاد الديني وتلاوة القرآن. لاحظ والدها موهبتها المبكرة في الغناء، وبدأ في تدريبها على أداء الأناشيد الدينية والتواشيح الصوفية، فكانت ترافقه في المناسبات الدينية والمولد النبوي، متنكرة في زي صبي حتى لا تتعرض للانتقادات كونها فتاة تغني في ذلك الوقت، ومن ثم لعب والدها دوراً ريادياً في دعم موهبنها منذ صغرها.

البدايات الفنية والانتقال إلى القاهرة

في عام ١٩٢٣م، انتقلت أم كلثوم من طماى الزهايرة إلى القاهرة بعد أن أدركت أن موهبتها تحتاج إلى بيئة فنية أكثر تطورًا. هناك التقت بالعديد من الشخصيات البارزة في عالم الموسيقى، مثل الشيخ أبو العلا محمد والموسيقار محمد القصبجي، اللذين قاما بتدريبها وصقل موهبتها. بدأت تغني في الحفلات الخاصة، ثم انتقلت إلى المسارح الكبرى حيث جذبت جمهورًا واسعًا بصوتها القوي وأدائها المميز.

بحلول منتصف العشرينيات، أصبحت أم كلثوم من أشهر مطربات مصر، وبدأت في تسجيل أسطواناتها الأولى التي لاقت نجاحًا كبيرًا. في عام ١٩٢٦، بدأت تعاونها مع أحمد رامي، الذي كتب لها أكثر من ١٠٠ أغنية، وكان له دوراً كبيراً في تشكيل شخصيتها الفنية.

## الشهرة والنجاح الفني

ازدادت شهرة أم كلثوم مع بداية ثلاثينيات القرن العشرين، وبدأت في تقديم حفلاتها الشهرية التي كانت تُذاع مباشرة عبر الإذاعة المصرية، مما زاد من شعبيتها في الوطن العربي. تعاونت مع كبار الملحنين مثل رياض السنباطي، ومحمد عبد الوهاب، وزكريا أحمد، مما ساهم في تنوع ألوانها الغنائية وتقديمها لأروع الأغاني الكلاسيكية. وكان من أشهر أغانيها: « إنت عمري» ١٩٤٦م– لحنها محمد عبد الوهاب، وتعد واحدة من روائع الموسيقى العربية، «الأطلال» ١٩٦٦م – من كلمات إبراهيم ناجي وألحان رياض السنباطي. و « سيرة الحب»، «أمل حياتي»، و» هذه ليلتي « وكلها أعمال خالدة لا تزال تحظى بشعبية كبيرة حتى اليوم.



## دور أم كلثوم الوطني وفي المجهود الحربي

كانت أم كلثوم شخصية وطنية مؤثرة لعبت دورًا بارزًا في دعم القضايا الوطنية والمجهود الحربي في مصر، خاصة خلال فترات الأزمات والحروب. فمنذ بداياتها الفنية، عبرت أم كلثوم عن وطنيتها من خلال الأغاني التي تغنت بها لمصر، مثل أغنية «مصر التي في خاطري» و «يا مصر إن الحق جاء» ، حيث كانت تحث على الاعتزاز بالوطنية والانتماء. كما دعمت ثورة ١٩١٩ م ضد الاحتلال البريطاني من خلال الغناء للأمة وللزعيم سعد زغلول، مما جعلها تحظى بمكانة خاصة في قلوب المصريين. وشاركت في تقديم الأغاني الوطنية التي تُعبر عن مطالب الشعب المصري في الاستقلال والحرية، مما جعل صوتها رمزًا من رموز النضال الوطني. فقد غنّت العديد من الأغاني التي تُحيي روح الثورة، على الرغم من صغر سنها في ذلك الوقت، مما جعلها تحظى باحترام الجماهير المصرية. كما كانت تُغني في التجمعات والمناسبات الوطنية التي دعمت الحركة الوطنية المصرية.

بعد نفي سعد زغلول زعيم الأمة « رئيس حزب الوفد» ، انتشرت الأغاني الوطنية التي تعبر عن

التضامن معه وتُطالب بعودته، وكانت أم كلثوم من أبرز الفنانين الذين دعموا هذا التوجه. وهذا أسهم في تعزيز الروح الوطنية بين المصريين، وحشدت الجماهير ضد الاستعمار البريطاني. ومن ثم غدت أم كلثوم أيقونة فنية ووطنية في مصر منذ ذلك الحين، وواصلت دعم القضايا الوطنية طوال مسيرتها.

بيد أن دعمها المبكر لثورة ١٩١٩ م الطريق لدورها المستقبلي في القضايا الوطنية، خاصة بعد ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ م، حيث استمرت في تقديم الأغاني الوطنية والمشاركة في دعم الجيش والمجهود الحربي؛ إذ كانت من أبرز الداعمين للضباط الأحرار، كما كانت على علاقة وطيدة بقيادات الثورة، وعلى رأسهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، الذي كان من أشد المعجبين بها. وقد استخدمت فنها في الترويج لأهداف الثورة، وغنت العديد من الأغاني الوطنية التي حفزت الشعب، من قبيل: «ثوار» ، «بسلامته عايزنا نرجع زي زمان» ، «أنا الشعب» و «حبيب الشعب « التي غنتها لعبد الناصر. وكذلك «مصر تتحدث عن نفسها» و» والله زمان يا سلاحي» التي أصبحت النشيد الوطني لمصر لفترة من الزمن.

## دورها في دعم المجهود الحربي

شعرت أم كلثوم بمسؤوليتها الوطنية تجاه بلدها بعد نكسة يونيه ١٩٦٧م، فبدأت حملة لجمع التبرعات لدعم الجيش المصري. قامت بجولات غنائية في العديد من الدول العربية والأجنبية، وقدمت حفلات في فرنسا، والمغرب، وتونس، والكويت، والسودان، ولبنان، وتبرعت بإيرادات هذه الحفلات بالكامل للمجهود الحربي. وقد تمثلت أبرز مساهماتها في : تبرعها بمجوهراتها الشخصية لدعم الجيش المصري. كما قامت بتنظيم حفلات للتبرع حضرها شخصيات عربية بارزة دعمت من خلالها المجهود الحربي. وقامت بتقديم أغاني وطنية ملهمة بعد النكسة، مثل «إنا فدائيون» و»راجعين بقوة السلاح» ، التي رفعت الروح المعنوية للشعب والجيش.

بعد انتصار أكتوبر ١٩٧٣، استمرت أم كلثوم في دعم الجيش المصري معنويًا من خلال أغانيها الوطنية، مثل «ولد الهدى» و»يا رب بلّغ مصر»، والتي عبرت عن فرحة الشعب بالنصر. بفضل جهودها في دعم القضايا الوطنية، لقبت «صوت مصر» و» كوكب الشرق» ، وبقيت رمزا للفن المقاوم الذي استخدم الغناء أداة للتعبير عن آمال الشعب وأحلامه في الحرية والاستقلال.



## الحياة الشخصية

رغم شهرتها الواسعة وكونها واحدة من أعظم الأصوات في تاريخ الموسيقى العربية، كانت أم كلثوم شخصية غامضة إلى حد كبير فيما يخص حياتها الشخصية، حيث حرصت على إبقاء تفاصيل حياتها الخاصة بعيدة عن الأضواء. ومع ذلك، هناك بعض المعلومات المعروفة عن جوانب من حياتها الشخصية والعائلية.

كما سبق وذكرنا أن والدها كان إمام مسجد. أما والدتها، فكانت ربة منزل، وكان لها أخ يُدعى خالد وأخت تُدعى سيدة. وقد تزوجت أم كلثوم في سن متأخرة نسبيًا، حيث لم تتزوج إلا في عام ١٩٥٤م، وكانت حينها في الخمسينيات من عمرها. إذ تزوجت من الدكتور حسن الحفناوي، وكان طبيبًا متخصصًا في الأمراض الجلدية، وعُرف بحبه واحترامه الشديد لها. ولم تُرزق أم كلثوم بالأبناء، ويُقال إنها كانت مشغولة طوال حياتها بفنها وكرّست حياتها بالكامل له ولخدمة بلدها، ولم تكن تُفكر كثيرًا في تأسيس أسرة تقليدية.

أمـا عـن سـماتها الشـخصية فكانـت معروفـة بقـوة شـخصيتها وحزمهـا فـي التعامـل مـع الأمـور، سـواء فـي حياتهـا المهنيـة أو الشـخصية. وقـد تميـزت بالبسـاطة والتواضـع رغـم شـهرتها الكبيـرة، حيـث كانـت تحـرص علـى مسـاعدة الآخريـن والتواصـل مـع محيطهـا الاجتماعـي. وكانـت تهتـم بالأناقـة والمظهـر، حيـث كانـت تختـار أزياءهـا بعنايـة، واهتمـت بارتـداء النظـارات الشمسـية التـي أصبحـت جـزءًا مـن شـخصيتها المميـزة.

وقـد كانـت شـخصية أم كلثـوم مثقفـة جـداً تعشـق القـراءة، وخاصـة الكتـب الدينيـة والتاريخيـة فتمتـع بثقافـة واسـعة. كانـت لهـا علاقـة وطيـدة بعـدد مـن الشـخصيات البـارزة فـي المجتمـع المصـري، مثـل جمال عبد الناصـر والعديد مـن الأدبـاء والشـعراء. بيد أنهـا بالرغـم مـن الشـهرة كانـت تحـب الهـدوء والعزلـة بعيـدًا عـن الأضـواء عندمـا لا تكـون علـى المسـرح.

## صورة أم كلثوم فى الإعلام

هنـاك أسـماء تمرُّ فـي الحيـاة كوميض سـريع، تضـيء للحظـة ثـم تخفـت، وأخـرى تُخلّـد فـي ذاكـرة الزمـن، تبقـى نابضـة بالحيـاة مهمـا تعاقبـت الأيـام. وقـد تجـاوزت أم كلثـوم حـدود الزمـن، لتصبـح أسـطورة فنيـة لا تُمحـى، وصوتـًا خالـدًا ينسـاب فـي الأثيـر، كأنـه جـزء لا يتجـزأ مـن وجـدان الأمـة العربيـة. فكانـت ظاهـرة فنيـة متكاملـة، عبقريـة فـي الأداء، متفـردة فـي الإحسـاس، وصاحبـة مدرسـة لا تتكـرر. صاغـت مـن الكلمـة واللحـن لوحـةً فنيـة تأسـر القلـوب، وجعلـت مـن صوتهـا معجـزة موسـيقية تتحـدى الزمـن. لكـن مـا كان لصوتهـا أن يظـل حاضـرًا بهـذه القـوة لـولا الإعـلام، الـذي أسـهم فـي تخليـد إرثهـا، فوثّـق أغانيهـا، ونقـل حفلاتهـا إلـى كل بيـت عربـي، وحوّلهـا إلـى رمـز يضـيء فـي ذاكـرة الأجيـال، وأوضـح عبقريتهـا الفنيـة. فعلـى مـدار العقـود التـي تلـت رحيلهـا، لعـب الإعـلام دورًا رئيسـيًا فـي تخليـد أم كلثـوم وجعـل إرثهـا حاضـرًا فـي الوجـدان العربـي والعالمـي. بفضـل الوسـائل المختلفـة مثـل التلفزيـون، الإذاعـة، السـينما، الصحافـة، والوسـائط الرقميـة، اسـتمرت أم كلثـوم فـي التأثيـر علـى الأجيـال الجديـدة رغـم مـرور الزمـن.

بدايـة نجـد أن البـث التلفزيونـي والإذاعـي يلعـب دوراً مهمـاً فـى هـذا مـن خـلال إعـادة بـث حفلاتهـا، فـلا تزال القنـوات التلفزيونيـة العربيـة، وخاصـة المصريـة، تبـث حفلاتهـا الكاملـة، خصوصـًا تلـك التـي كانـت تقدمهـا شـهريًا. ليـس هـذا فقـط ، فقـد أنتجـت العديـد مـن القنـوات التليفزيونيـة افـلام وثائقيـة عنهـا، مثـل «كوكـب الشـرق» و»الأسـطورة»، التـي تسـلط الضـوء علـى حياتهـا ومسـيرتها الفنيـة. كمـا أنشـأت بعـض المحطـات الإذاعيـة المتخصصـة برامـج مُخصصـة لبـث أغانيهـا وتحليلهـا، مثـل برنامـج «سـاعة مـع أم كلثـوم» فـي الإذاعـة المصريـة.

أمـا فـى الصحـف والمجـلات، فـلا تـزال الصحـف والمجـلات تنشـر مقـالات وتحقيقـات عـن أم كلثـوم، خاصـة فـي ذكـرى وفاتهـا أو ميلادهـا. كمـا أن هنـاك إصـدارات خاصـة مـن قبـل بعـض الصحـف التـى كانـت ولا تـزال تُصـدر ملاحـق خاصـة عنهـا، تضـم صـورًا نـادرة وقصصـًا مـن حياتهـا.




وفـى الآونـة الاخيـرة تـم اسـتخدام تقنيـات حديثـة لإعادة بـث حفلاتهـا مـن قبيـل « تقنيـة الهولوغـرام « إذ قامـت بعـض الجهـات بإحيـاء حفلاتهـا بتقنيـة الهولوغـرام، مثل الحفـل الـذي أقيـم فـي السـعودية عـام ٢٠١٩م، حيـث تـم تقديـم عـرض بصـري حديـث يجسـد ظهورهـا علـى المسـرح. وتـم عمـل توزيعـات موسـيقية جديـدة لبعض أغانيهـا بتقنيـات حديثـة للحفـاظ علـى جاذبيتهـا بيـن الأجيـال الشـابة. كمـا لعـب الإنترنـت ووسـائل التواصـل الاجتماعـي دوراً كبيـراً فـى الحفـاظ علـى اسـتمرارية

تواجد فنها وعدم غيابة عن المشهد الراهن من خلال منصات البث الرقمي إذ تتوفر أغانيها على مواقع مثل يوتيوب، سبوتيفاي، وأنغامي، حيث تحقق ملايين المشاهدات والاستماعات. كما أن هناك صفحات ومجموعات خصصت على فيسبوك وإنستغرام يتم من خلالها نشر مقتطفات من حفلاتها وقصص عنها.

ومن ثم يظل الإعلام أحد أهم الوسائل الرئيسية في تخليد فن أم كلثوم، حيث حافظ على إرثها وجعلها حاضرة رغم مرور الزمن. من خلال التلفزيون، السينما، الصحافة، الإنترنت، والتقنيات الحديثة، بقيت كوكب الشرق أيقونة خالدة تُلهم الأجيال الجديدة بصوتها وإبداعها الفني.

أم كلثوم في الدراما: حضور لا يغيب

شكلت سيرتها ومسيرتها الملهمة مادةً غنية للدراما التي حاولت أن تقترب من أسطورتها، وتنقل إلى الأجيال الجديدة ملامح شخصيتها وصوتها وإرثها الخال؛ إذ أصبح فنها رمزاً فني وثقافي تجاوز حدود الغناء ليصبح جزءًا من الذاكرة الجمعية للأمة.

من الأفلام الوثائقية إلى المسلسلات الدرامية، سعت الشاشة إلى إعادة إحياء كوكب الشرق، مستعيدة رحلتها من الطفولة المتواضعة إلى عرش الغناء العربي. وبين الأداء التمثيلي، والمقاطع الأرشيفية، والحكايات التي نُسجت حول حياتها، ظلت أم كلثوم شخصيةً درامية بامتياز، تجمع بين القوة والتحدي، والمجد والصوت الذي لا يُنسى. فقد شكلت حياتها مصدر إلهام لصناع الدراما، سواء من خلال أعمال تحكي سيرتها الذاتية أو من خلال الإشارة إليها كشخصية رمزية في بعض الأعمال الفنية هذا من جانب كما أن هناك جانباً أخر مهم ألا وهو مشاركتها فى تمثيل بعض الافلام السينمائية أثناء مسيرة حياتها. وهنا، نفتح نافذة على كيف تناولت الدراما شخصية أم كلثوم، وكيف حاولت أن تنقل عبقريتها الفنية وحياتها الشخصية إلى جمهور لم يعش زمنها، لكنه لا يزال يعيش على أنغامها.

الأعمال التى شاركت بها

رغم أن أم كلثوم لم تكن ممثلة بالمعنى التقليدي، إلا أنها شاركت في ستة أفلام سينمائية بين عامي ١٩٣٦م و١٩٤٧م، حيث كانت الأفلام تركز على إبراز صوتها وأغانيها أكثر من الأداء التمثيلي. بداية من فيلم « وداد « ١٩٣٦م ، وهو أول أفلام أم كلثوم، ومن إخراج فريتز كرامب. ويأتى ثانى أعمالها وهو « نشيد الأمل ١٩٣٧م الذى يُعد أول فيلم غنائي درامي ناطق، من إخراج أحمد بدرخان . ثم يأتى فيلم « دنانير» ١٩٤٠م ،وهو فيلم تاريخي تدور أحداثه في العصر العباسي، وأخرجه نيازي مصطفى. ثم فيلم « عايدة» ١٩٤٢م، المستوحى من أوبرا عايدة الشهيرة، لكنه قُدم في سياق درامي مصري. ويُعد فيلم «سلاّمة « ١٩٤٥م من أشهر أفلامها، الذى أخرجه توجو مزراحي. وكان اخر افلامها هو فيلم «فاطمة» ١٩٤٧م ، وقد قررت بعده أم كلثوم التوقف عن السينما والتركيز على الحفلات الغنائية. حيث شعرت أن السينما تقيّدها دراميًا، بينما الغناء يتيح لها حرية التعبير الفني والتواصل المباشر مع الجمهور. وفضّلت أن تظل صاحبة الصوت الأسطوري بدلًا من أن تكون مجرد ممثلة في أفلام محدودة.

## الأعمال التى تناولتها

فى الشاشة الفضية، نجد مسلسل «أم كلثوم» ١٩٩٩ م الذى يُعد أشهر عمل درامي جسد شخصية أم كلثوم، حيث قامت الفنانة صابرين بتقديم دورها ببراعة. وتناول المسلسل حياتها منذ الطفولة وحتى قمة مجدها الفني، مع تسليط الضوء على علاقاتها الفنية والاجتماعية وتأثيرها الوطني. وقد حقق المسلسل نجاحًا كبيرًا، نظرًا للدقة في تقديم شخصية أم كلثوم، سواء في الشكل أو الأداء أو الغناء.

رغم أن المسلسل كان العمل الأكثر تفصيلاً عن سيرتها، إلا أن هناك أعمالًا أخرى قدمت إشارات أو مشاهد تظهر فيها شخصية أم كلثوم، مثل: ظهورها كإحدى الشخصيات في بعض الأفلام والمسلسلات التاريخية التي تناولت فترة الفن الذهبي في مصر. كما أن هناك أعمال وثائقية ناقشت تأثيرها على الفن والسياسة، مثل البرامج التلفزيونية التي تعرض تسجيلات لحفلاتها وتاريخها الفني.

أما في السينما ، لم تقدم أم كلثوم حياتها الشخصية بشكل مباشر في الأفلام السينمائية، لكنها ظهرت بأصواتها وأغانيها في العديد من الأفلام التي استخدمت موسيقاها كجزء من الأحداث. هناك أفلام تناولت علاقتها بالفن والسياسة بشكل غير مباشر، مثل الأفلام التي ناقشت تاريخ مصر في القرن العشرين ودور الفن في تشكيل الوعي القومي. ونجد بعض المخرجين حاولوا تقديم مشاريع سينمائية عن حياتها، لكن لم يتم تنفيذها بالكامل، نظرًا لصعوبة تجسيد شخصيتها بدقة.



ففي عام ١٩٧٨م، قدَّمت الفنانة فردوس عبد الحميد دور أم كلثوم في فيلم «أم كلثوم» الذي أُنتج في سياق درامي يعكس جوانب من حياتها. الفيلم تناول قصة حياة أم كلثوم الفنية، ورغم أن فردوس عبد الحميد قامت بتجسيد شخصية أم كلثوم في هذا الفيلم، إلا أنه كان يحتوي على الكثير من العناصر الخيالية والمبالغة في السرد، ولذلك لم يكن الفيلم يحاكي سيرتها الذاتية بدقة تامة. استطاعت فردوس عبد الحميد أن تقدم صورة مأخوذة من ملامح شخصية أم كلثوم، إلا أن الفيلم لم يحقق النجاح الكبير الذي كان متوقعًا، حيث أُنتج في مرحلة كان فيها الجمهور ينتظر عملًا أكثر تفصيلًا ودقة.

وفى عام ٢٠١٧م ، قامت الفنانة ياسمين رئيس بتجسيد شخصية أم كلثوم فى فيلم «أم كلثوم: صوت مصر» والذي حاول تقديم صورة متكاملة عن حياتها بشكلٍ درامي، بما في ذلك أغانيها الشهيرة وتفاصيل من حياتها الخاصة والعامة. وقد قوبل الفيلم بترحيب جماهيري كبير بفضل الأداء القوي من ياسمين رئيس والاحترام الكبير الذي كان معروضًا لهذه الأسطورة الفنية. وقد أُعطي الفيلم طابعًا وثائقيًا دراميًا يعكس رحلة حياتها الفنية والشخصية. ومن ثم لا تزال سومة تحضر فى الدراما الحديثة ظهورها عبر أغانيها التي تُستخدم كموسيقى تصويرية في المسلسلات والأفلام، مما يعكس استمرار تأثيرها الفني.

أم كلثوم في عيون الآخرين: أسطورة تتجاوز الحدود

عندما يُذكر اسم أم كلثوم، تتداعى في الأذهان صورة سيدة وقفت على المسرح بشموخ، تسيطر على القلوب قبل الآذان، وتُسافر بالمستمعين إلى عوالم من السحر والطرب الأصيل. لكن الحديث عنها لا يقتصر على جمهورها العربي فحسب، فقد تجاوزت شهرتها حدود الوطن العربي، وامتد تأثيرها إلى آفاق عالمية، حيث نظر إليها الآخرون باندهاش وإعجاب، واعتبروها واحدة من أعظم الأصوات التي عرفها التاريخ.

لم تكن أم كلثوم مجرد مطربة، بل كانت سفيرة للثقافة العربية، أدهشت الموسيقيين العالميين، وألهمت الشعراء، وحظيت بتقدير الساسة والمفكرين. من كبار الملحنين الغربيين الذين أُعجبوا بجمال صوتها، إلى المستشرقين الذين درسوا فنها، إلى الصحافة العالمية التي وصفتها بـ»أسطورة الشرق»، ظل حضورها قويًا في ذاكرة الآخرين كما هو في وجداننا. ونكتشف معًا سر هذا السحر الذي جعلها تتربع على عرش الغناء، ليس فقط في العالم العربي، بل في وجدان العالم أجمع. فقد كانت رمزًا فنيًا فريدًا من نوعه، ولم يقتصر تأثيرها على الجمهور العادي، بل امتد ليشمل المفكرين، والأدباء، والسياسيين، والفنانين العالميين، الذين أبدوا إعجابهم الكبير بموهبتها وصوتها الأسطوري.

وإليك رأي بعض الشخصيات الفنية، فقد أوضح الفنان محمد عبد الوهاب أن «صوت أم كلثوم لا مثيل له، فهو قادر على التعبير عن كل المشاعر الإنسانية، من الفرح إلى الحزن، ومن الحب إلى

الفراق.» وذكر الملحن الشهير رياض السنباطي أن «أم كلثوم لم تكن مجرد مطربة، بل كانت مدرسة فنية متكاملة، لم تتكرر في تاريخ الغناء العربي.» وقال المطرب عبد الحليم حافظ إنه «شرف لأي فنان أن يكون في زمن أم كلثوم، فهي الهرم الرابع لمصر.» واخيراً المطربةاللبنانية فيروزالتى قالت إن « أم كلثوم هي الصوت الذي لا يموت، علمتنا كيف يكون الغناء فنًا خالدًا.»

وجاء رأي الأدباء والمفكرين ، فقد قال الأديب نجيب محفوظ « أم كلثوم لم تكن مغنية فحسب، بل كانت جزءًا من وجدان الشعب العربي، مثلها مثل نهر النيل والأهرامات.» أماالكاتب الكبير أنيس منصور، « إذا أردت أن تفهم قوة مصر الناعمة، فاستمع إلى صوت أم كلثوم.»



وقد جاء رأي السياسيين والزعماء من قبيل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، الذى قال « صوت أم كلثوم هو صوت مصر، وأغانيها هي التي وحّدت العرب أكثر مما فعلت السياسة.» أما شارل ديغول رئيس فرنسا الأسبق فقد ذكر « أم كلثوم هي الهرم الرابع لمصر، وصوتها من أعظم ما سمعته البشرية.» كما قال معمر القذافي زعيم ليبيا السابق « حين تغني أم كلثوم، يصمت العالم ليستمع لصوتها.»

وعن رأى الشخصيات العالمية، فقد قال «مارسيل خليفة» بيتهوفن العرب الموسيقي اللبناني إن « صوت أم كلثوم هو أعظم آلة موسيقية عرفها العالم.» أما المغني الأمريكي الشهير بوب ديلان « لم أفهم كلمة واحدة مما تغني، لكنني شعرت بكل شيء من صوتها.» كما قال عنها بلاسيدو دومينغو (الأوبرالي العالمي) «لو كانت أم كلثوم في أوروبا، لكانت أعظم سوبرانو في تاريخ الأوبرا.»

سواء في العالم العربي أو الغربي، كانت أم كلثوم ظاهرة فنية عالمية ألهمت الجميع، حتى من لا يفهمون اللغة العربية. صوتها لم يكن مجرد صوت، بل كان روحًا تعبر عن مشاعر الملايين، وتُخلّد في ذاكرة الزمن.

## تكريمات وأوسمة

حصلت على أرفع الأوسمة والتكريمات في العالم العربي، كما تم إنشاء متاحف وقاعات فنية تحمل اسمها، لتبقى ذكراها خالدة في وجدان الأجيال القادمة . ففى عام ١٩٦٠م حصلت على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى من قبل الرئيس جمال عبد الناصر تقديرًا لدورها الفني والوطني. ثم نالت وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى – منحها إياه الرئيس أنور السادات بعد وفاتها عام ١٩٧٥م. وتكريماً لها تم إطلاق اسمها على العديد من الشوارع والمسارح، مثل شارع أم كلثوم في الزمالك، ومسرح أم كلثوم في دار الأوبرا المصرية. ليس هذا فقط فقد تم إصدار طابع بريد يحمل صورتها تكريمًا لها في الذكرى السنوية لوفاتها. كما تم وضع تمثال أم كلثوم في عدة مناطق بالقاهرة والمنصورة تكريمًا لذكراها.

وقد منحها الملك حسن الثانى وسام الكفاءة الفكرية من المغرب . كما حصلت من لبنان على وسام الأرز الوطني من لبنان . و أقيم تمثال أم كلثوم في تونس تخليدًا لعلاقتها القوية مع الجمهور التونسي. وفى باريس تم وُضع تمثال أم كلثوم في متحف الموسيقى تكريمًا لمكانتها العالمية. وتم تكريمها من قبل اليونسكو حيث أدرجت ضمن قائمة الشخصيات العالمية التي أثرت في الفن والثقافة.

وقد تم إنشاء متحف لأم كلثوم بالقاهرة عام ٢٠٠١م بقصر المانسترلي، جزيرة الروضة. ويضم مقتنياتها الشخصية مثل ملابسها، نظاراتها، حقائبها، وسجلاتها الغنائية. ويحتوي على قاعة عرض سينمائي تقدم أفلامًا وثائقية عن حياتها. كما يضم مجموعة من الجوائز والتكريمات التي حصلت عليها. والميكروفون الأصلي الذي غنت به في حفلاتها.

ثم تم أنشاء متحفاً أخر لأم كلثوم بتونس عام ٢٠١٨م ضمن فعاليات «أيام قرطاج الموسيقية» بمدينة الثقافة، تونس العاصمة. ويعرض صورًا نادرة، تسجيلات صوتية لأم كلثوم، وبعض مقتنياتها. ويحتوي على أجنحة تفاعلية حيث يمكن للزوار الاستماع إلى أغانيها ورؤية أرشيفها الفني.

وهناك متحفاً افتراضياً لأم كلثوم عبر الإنترنت ، وهو مشروع رقمي تم إطلاقه لتوثيق حياة أم كلثوم وعرض تسجيلاتها، صورها، ومقتنياتها عبر الإنترنت. يهدف إلى إتاحة أرشيفها الفني لمحبيها حول العالم.

## المرض والوفاة

في أواخر الستينيات، بدأت أم كلثوم تُعاني من مشاكل صحية في الكلى، لكنها استمرت في الغناء رغم معاناتها. ثم عانت من مرض الغدة الدرقية، مما أثر على صوتها وأدى إلى تقليل نشاطها الفني. ومع بداية السبعينيات، سافرت إلى أوروبا عدة مرات لتلقي العلاج، لكن حالتها الصحية تدهورت بشكل كبير وازدادت حالتها سوءًا، وقلّت حفلاتها تدريجيًا. وفي ٣ فبراير ١٩٧٥، توفيت أم كلثوم عن عمر يناهز ٧٦ عامًا، وكان يوم وفاتها يومًا حزينًا في العالم العربي، حيث خرجت جنازتها في مشهد مهيب حضره الملايين من محبيها.

## الإرث الفني والخلود



رغم مرور عقود على وفاتها، لا تزال أم كلثوم رمزًا خالدًا في الموسيقى العربية. تعتبر أغانيها مدرسة فنية قائمة بذاتها، حيث يتعلم منها الفنانون حتى يومنا هذا. بفضل صوتها الاستثنائي وأدائها العاطفي القوي، استطاعت أن تحفر اسمها في التاريخ كواحدة من أعظم المطربات في العالم.

وهكذا، تظل أم كلثوم أكثر من مجرد صوت صدح في آفاق الزمن، إنها ذكرى خالدة تنبض بالحياة كلما لامست أوتار قلوبنا نغمةٌ من أغنياتها، أو همس الليل ببيتين من شعر غنّتهما ذات يوم. خمسون عامًا مضت، وما زالت كوكب الشرق تتربع على عرش الطرب، تطوف بنا بين بحور العشق والوطنية، فنجدها رفيقة الحنين، وملهمة الأجيال، وصدى العروبة الذي لا يخبو.

إن حضورها في ذاكرتنا العربية ليس مجرد ذكرى، بل هو امتداد لجمال لا يشيخ، وإرث فني متجدد لا تقدر عليه السنون. وبينما نغادر ندوتنا، فإننا لا نفارق أم كلثوم، فهي باقية حيث تسكن الأصوات الخالدة، حيث الشعر الذي صار أغنية، وحيث الأغنية التي صارت تاريخًا.

ختامًا، نودعكم على أمل أن يظل هذا الإرث العظيم متوهجًا في قلوبنا، وأن نستلهم من هذا الصوت الخالد روح الإبداع، وقوة الإرادة، وسحر الفن الذي لا يموت.



# أربيار أربياريان
# مؤسس الواقعية في الأدب الأرمني

بقلم أ.عطا درغام

أربيار أربياريان (١٨٥١-١٩٠٨)، وهو كاتب صحفي وشخصية بارزة في حركة التحرير الأرمنية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان أحد أبرز المثقفين الأرمن، الذين كان لهم تأثير عميق ليس فقط في المجال الأدبي، بل أيضًا في المجالين الاجتماعي والسياسي.

ينتمي أ. أربياريان إلى جيل من الشخصيات البارزة في ذلك الوقت، مثل خ. أبوفيان، م. نالبانديان، رافي، م. خريميان، وآخرون ممن تركوا بصماتهم على الحياة الاجتماعية والسياسية الأرمنية.

## النشأة والتعليم

ولد أربياريان في ميناء شمشون في ٢١ ديسمبر ١٨٥١، على متن سفينة كانت تنقل والديه من أكني إلى بوليس، وتلقى تعليمه الابتدائي في «كلية المترجمين» في أورتاجيجو، وبعدها أُرسل إلى البندقية لتحسين دراسته مع المخيتاريين، حيث أصبح تلميذاً للأب چيفوند أليشان وكان مشبعًا بروحه الأيديولوجية الوطنية، فدرس اللغة والتاريخ الأرمني، كما أصبح على دراية بالأدبين الفرنسي والإيطالي ، و تخرج من المدرسة، وعاد إلى إسطنبول حيث عمل لبعض الوقت في المكاتب التجارية كمحاسب وكاتب، ثم تم تعيينه في منصب سكرتير في بطريركية الأرمن في تركيا.

## أرابياريان صحفيًا

بدأت أعماله الأولى في مجال الأدب في صحيفة «مشاك» التي يملكها آرتسروني، والتي نُشرت في تبليسي ، و كتب مقالات بنكهة السخرية حول جوانب مختلفة من الحياة الأرمنية في إسطنبول تحت اسم مستعار،و بحلول عام ١٨٧٨، أصبح مساهمًا منتظمًا



في الصحف والدوريات، مثل «ماسيس» ، التي شارك في تحريرها (١٨٨٤-١٨٩٣) مع الكاتب والسياسي الأرمني الشهير زهراب ، وأصبحت مقالاته تحظى بشعبية كبيرة بين الأرمن القوقازيين ، وفي عام ١٨٨٤ زار تفليس بمناسبة انتخاب كاثوليكوس جديد في إتشميادزين ، حيث كان يعتبر كاتبًا مشهورًا . وهناك أُتيحت له الفرصة للقاء الكتاب الأرمن الشرقيين رافي وبروشيان وأچايان وآخرين.

بعد عودته إلى إسطنبول بانطباعات ومعلومات جديدة، كتب سلسلة من المقالات بعنوان ( رحلات في القوقاز) في عام ١٨٨٤، ونشر مع مثقفين آخرين صحيفة يومية جديدة ، «أرفيلك» (باللغة الشرقية)، بهدف تعزيز العلاقات الأوثق بين الأرمن الشرقيين والغربيين. و» أرفيلك «، صحيفة أدبية وسياسية ذات ميول ديمقراطية ، اجتذبت عددًا من الكتاب الشباب الذين سيشكلون جوهر المدرسة الواقعية، و ظلت الصحيفة تصدر حتى عام ١٩١٢.

## الأنشطة الاجتماعية و السياسية ل أ . أربياريان

بدأ أ. أربياريان نشاطه التنويري عام ١٨٦٤، عندما كان يدرس في كلية المترجمين بإسطنبول، وفي أبريل ١٨٧٦، أسس مع أنصاره «جمعية أرارات»، وانتخب مجردتش بورتوچاليان رئيسًا لها، وأ. أربياريان سكرتيرًا لها، وهدفت الجمعية إلى تعزيز الوعي الوطني، لا سيما بين الأرمن في المحافظات، ثم بين سكان المدن من خلال نشر التعليم، وكان الهدف النهائي من ذلك هو إدخال وتطبيق فكرة الدفاع عن النفس بين الأرمن الغربيين الذين تعرضوا للمضايقات في ظل الحكم العثماني، ومن بين قضايا أخرى، رأى أهمية تثقيف النساء والفتيات الأرمن.

أدرك أ. أربياريان ضرورة إدخال أساليب تدريس جديدة في المدارس الأرمنية، وتقدير المعلمين الوطنيين، بغض النظر عن المواد التي يُدرّسونها. ومثل شخصيات ذلك العصر العظيمة، كان أ. أربياريان مقتنعًا أيضًا بأن التعليم أحد الضمانات المهمة للنضال التحرري، وأن الكنيسة الرسولية الأرمنية تُسهم في الحفاظ على الوعي الوطني.

في عام ١٨٩٠، أُلقي القبض على أ. أربياريان مع عدد من النشطاء لمشاركتهم في مظاهرة چوم-چابو. ولم يُفرج عنه من السجن إلا في بداية عام ١٨٩١.

و خلال الفترة ١٨٩٤-١٨٩٦، وخلال المجازر الحميدية، فضّل أ. أربياريان السفر إلى الخارج، فأسس وحرر مجلة «نور كيانق» في لندن، ومجلة «هاي هاندس» في البندقية، وفي القاهرة، حرر دورية «شيراك» وصحيفة «لوسابر» التي كانت تصدر ثلاث مرات أسبوعيًا.

احتل التثقيف الصحي للأرمن مكانة مهمة في نشاط أ. أربياريان العام. وتناول في مقالاته قضايا صحية مختلفة، لهذه الأغراض ولأغراض أخرى، استخدم بشكل خاص صحيفة «هيرينيك» اليومية، حيث تولى منصب رئيس تحريرها في يناير عام ١٨٩١.

رأى أ. أربياريان بوضوح الحرمان والتقسيم الطبقي للأرمن الغربيين، لكنه كان ضد الصراع الطبقي، لأن الأرمن، أغنياء كانوا أم فقراء، كانوا تحت وطأة الحكم العثماني المؤلم.

كذلك، دعا أ. أربياريان باستمرار إلى وضع حد للانقسامات الداخلية، وتوحيد القوى العلمانية والروحية، وباعتباره نائبًا في الجمعية الوطنية في مايو ١٨٩٤، أثار في خطاباته عددًا من القضايا التي من شأنها أن تُتيح فرصة لتوحيد الأرمن الغربيين، وانتقد أ. أربياريان بشدة النواب المحافظين في الجمعية الوطنية، الذين كانوا يسعون إلى إيجاد أرضية مشتركة مع الحكومة والسلطان عبد الحميد الثاني. و كان أ. أربياريان مقتنعًا بضرورة أن تتناول الجمعية الوطنية قضايا عملية، أولها الإصلاحات الأرمنية، التي يتطلب تحقيقها وضع سياسة وطنية مدروسة جيدًا.

وقد أظهر أ. أربياريان في مقالاته بشكل خاص السياسة البريطانية الموالية لتركيا، لكنه وضع آماله على روسيا، واعتبر أن الحكم الروسي أفضل من الحكم العثماني، مقارنًا وضع الأرمن الذين يعيشون تحت حكم الإمبراطوريتين. وفي إشارة إلى الثورة الروسية الأولى، رأى أ. أربياريان أنه لا ينبغي للأرمن الغربيين المشاركة في أعمال ضد الاستبداد، لأن ذلك سيضرهم فقط، كما أنه في مقالاته، دعا إلى الواقعية والابتعاد عن الأعمال المناهضة للحكومة، لأنها ستمنح السلطات ذريعةً لاتخاذ خطوات ضد الأرمن

توصل أ. أربياريان إلى استنتاج مفاده أن الأرمن لا يمكنهم تحقيق حريتهم إلا بأنفسهم. وفي الواقع، فضّل مسار الكفاح المسلح، مستشهدًا بمثالٍ حيٍّ على نضال الزيتون البطولي، الذي نتج عنه «حصول الزيتون على استقلالها؛ فالجبال الشامخة، وبعض المدافع، وقليل من الدماء، كانت أكثر فعاليةً بكثير من المؤتمرات، والاحتجاجات التي لا تُحصى، والتدخلات الحكومية» .

كان مقتنعًا بأن النصر لا يمكن تحقيقه إلا من خلال انتفاضة شعبية، ولكنه أدرك في الوقت نفسه أن جزءًا كبيرًا من الأرمن الغربيين يفتقرون إلى

الخبرة النضالية ولا يملكون خطة عمل، ولن تتمكن مجموعات «هايدوك» الأرمنية التي تعمل بشكل منفصل من تحقيق تحرير الأرمن الغربيين . في الوقت نفسه ، اعتبر أن أساليب الإرهاب الفردي خاطئة، مشيرًا إلى محاولة اغتيال عبد الحميد الثاني في ٢١ يوليو ١٩٠٥.

اتفق أ. أربياريان مع هامباردزوم بويادجيان (ميتسن مراد)، وهو شخصية بارزة في حركة التحرير وعضو في حزب الهنشاك، الذي دعا أعضاء حزبه إلى الاتحاد مع حزب الطاشناق من أجل تحقيق الأهداف الوطنية

ووفقًا ل أ. أربياريان، كان من الضروري وضع حدّ للمواجهات بين الحزبين الوطنيين، الهنشاك وحزب الطاشناق، والتي لم تكن مُفيدة إلا للسلطات العثمانية والروسية، وللأسف، لم يكن من المُمكن توحيد الحزبين فحسب، بل أيضًا وقف الصراعات العميقة بينهما.

اعتقد أ. أربياريان أن الحزب الأكثر اتحادًا وتوحدًا هو حزب الطاشناق، وأن على الهنشاك الانضمام إلى حزب الطاشناق، وليس العكس . في الوقت نفسه، دعا الأحزاب الوطنية إلى وضع برنامج دفاع ذاتي مشترك، نظرًا لتصاعد العلاقات بين الإمبراطورية العثمانية وروسيا يومًا بعد يوم، مما قد يؤدي إلى حرب واسعة النطاق، ورأى أ. أربياريان أن الأتراك سيستغلون فرصة الحرب بالتأكيد للانتقام من الأرمن .

ورأى أ. أربياريان أهمية التعاون مع الأقليات العرقية التي تعيش تحت الحكم العثماني، مثل اليونانيين والأكراد. ومن البديهي أن السلطات العثمانية وجدت ذرائع لدق إسفين بين الشعوب الثلاثة.

عبّر أ. أربياريان عن وجهة النظر نفسها. إذ كتب: «يفترض التحالف دائمًا المساواة بين الحلفاء، ويتحمل المسلمون طواعيةً عبء الضرائب الباهظ، بدلًا من تخفيفه، والذي سيكون ثمنه المساواة مع المسيحيين» ،لكن الأمر المثير للدهشة هو: لماذا أغفل المفكر البارز مسألة التعاون مع الآشوريين؟

في عام ١٨٩٥، أصبح عضوًا في حزب الهنشاك، مما زاد من نفوذ تلك المنظمة السياسية، و عارض أ. أربياريان في المقام الأول فكرة الاشتراكية المنصوص عليها في برنامج الهنشاك، معتبرًا أنه «يجب علينا أولًا تحرير أرمينيا من نير العثمانيين، ثم بعد أن نحصل على الأقل على أرمينيا حرة شبيهة بدولة بلغاريا، يمكننا التفكير في الاشتراكية» . وسرعان ما نشأت خلافات مع حزب الطاشناق الأرمني أيضًا، وانتقد أ. أربياريان حزب الطاشناق الأرمني لتهديده السلطان، وأُضيفت إليه قضايا أخرى ،وبلغ الوضع حدًا من التوتر لدرجة أن حزب الطاشناق الأرمني حاول اغتياله في ٢٥ ديسمبر ١٨٩٥، لكنه لم يُصب إلا بجروح.

انتشرت معلومات بين أعضاء الحزب تُفيد بأن أ. أربياريان كان خائنًا، ومبتزًا، وما إلى ذلك ، واستغلت لجنة حزب الطاشناق الأرمني في إسطنبول كل هذا لتشويه سمعة أ. أربياريان وتحييده . ولأن البقاء في الإمبراطورية العثمانية أصبح خطرًا، سافر إلى الخارج وأسس صحيفة «مارت» (١٨٩٧) ومجلة «نور كيانق» نصف الشهرية (١٨٩٨).

وفي عام ١٩٠٥، استقر أ. أربياريان في القاهرة وتولى منصب رئيس تحرير صحيفة «لوسابر». وللأسف، قُتل أ. أربياريان نتيجةً لمحاولة اغتياله في ١٢ فبراير ١٩٠٨، وشُيِّعت جنازته في ١٤ يناير.

## أربياريان رائد الواقعية

يعتبر «أربيار أربياريان» رائدًا ، بل ومؤسسًا للحركة الواقعية في الأدب الأرمني، و لقد حقق سلطة كبيرة واعترافًا بالشعب الأرمني، كان في عمله بعيدًا جدًا عن الرومانسية، وعلى عكس زميله «كريكور زهراب»، فهو لا يتطرق إلى الموضوع على الإطلاق.

كان «أربياريان» من أوائل وأفضل ممثلي الحركة الواقعية، بصفته صحفيًا، جلب نفسًا جديدًا إلى الصحافة الأرمنية بعقله الحاد وأفكاره الليبرالية والجريئة ومقالاته التي تسعى إلى تنوير الناس.

كان الموضوع الرئيسي لأعماله هو النضال ضد الطبقات المتميزة في المجتمع الأرمني والمجتمع العثماني ككل. .

كتب «أربياريان «عدداً من الروايات («المحكوم عليه»، «ثمن الحلم»، «السوار الذهبي»، «إلى متى»، «من الساعة الحمراء» و»الحياة النهارية»). ويعتبر النقاد أن كتابه « الساعة الحمراء» هو تحفة الرواية التركية الأرمنية،و»الساعة الحمراء» رواية جميلة مأخوذة من الحياة الوطنية ومخلدة اسمها، مكتوبة بفن وذكاء وذوق أدبي هي أشهر أعماله المنشورة، ناقش فيها قضايا اجتماعية وأخلاقية مهمة،وأعرب عن احتجاج العمال على الأوامر الظالمة. وله أيضًا روايتين بعنوان «طفل الروح» و»أوسكي أبريجان».

وتعتبر القصة الأكثر إثارة للمشاعر للكاتب هي قصة «العائلة المقدسة»، التي نُشرت عام ١٩٢٩ في باريس، والتي انتقد فيها المؤلف بشدة العلاقة بين الأرمن الأثرياء والكنيسة والنظام الاجتماعي والاقتصادي المبني على هذا الأساس .وفي عمله الآخر «أزكيس باررارنيري» (صالح أمتي)، يروي المؤلف بشكل تراجيدي كوميدي قصة مدير مدرسة يحاول أثناء وجوده في أوروبا جمع التبرعات لدار أيتام يعيش فيها أيتام أرمن، وفي الحقيقة هذه قصة أطفال تيتموا نتيجة المجازر في أضنة وضواحيها، ويسخر الكاتب من إهمال وسوء فهم السكان الأوروبيين للكارثة التي حلَّت بالشعب الأرمني.

يكتب «أرباريان» في المقدمة،: «على الرغم من الشكل الهزلي لقصتي، أتوسل إليكم ألا تنظروا إليها بهذه الطريقة، لأنها كُتبت بالدموع . هذه قصة لم تكتب بدموعي فحسب، بل أيضًا بدموع ملايين الأيتام الأرمن، الذين سقط آباؤهم ضحايا النظام العثماني وخيانة البرجوازية الأرمنية“ .

في قصة «سيردي خاختاناچي» (انتصار القلب) يُعد «أربياريان» من أوائل الأدباء الوطنيين الذين كشفوا عن موضوع النسوية بين النساء الأرمنيات، كما أعرب عن رأي حول ضرورة فصل الكنيسة عن الأنشطة التعليمية.



هذه قصة الغسالة الفقيرة، ريبسيما، التي تريد أن تذهب ابنتها الصغيرة هايجانوش إلى مدرسة خاصة وتتلقى تعليمًا علمانيًا. تبدأ القصة بمشهد تأتي فيه ريبسيما كضيفة على الاتحاد النسائي الخيري في أورتاكوي لمناقشة هذه القضية. تشرح لهم أنها ترغب في أن تحصل ابنتها على تعليم أكثر لائقة بين الفتيات اللائي يتمتعن بتربية جيدة، تبين أن أحد قادة الاتحاد الخيري هي نفس الفتاة من عائلة فقيرة مثل هايجانوش، تشفق عليها وتأخذها تحت جناحها. ومن الجدير بالذكر أن العمل يضم عدداً كبيراً من القادة الحقيقيين للحركة النسوية الأرمنية، مثل «إلبيس چيساراتسيان»، «سيربوهي دوساب»، «زابيل أسادور» (سيبيل)، «زابيل يسايان»، «هايجانوش مارك». .



# إسهامات الأرمن فى الدبلوماسية المصرية
# «ديكران باشا آبرويان(دابرو)
# ١٨٤٦ـ ١٩٠٤»

أسهم الأرمن بشكل ملحوظ فى تاريخ مصر الحديث ، وذلك عندما استعان بهم محمد على باشا ( ١٨٠٥- ١٨٤١ ) حاكم مصر فى الدوائر الحكومية ، وخاصة ديوان التجارة والأمور الخارجية - وزارة الخارجية حالياً- ، بل أكثر من هذا ، استأثر الأرمن بنصيب كبير فى تقلد منصب المسئول الأول فى جهاز التجارة والخارجية خلال القرن التاسع عشر ، وشغل الأرمن زمنياً مساحة (١٧٢٩٥ يوم ) من مجموع ( ٢٦٩٣٥ يوم ) هى عدد الأيام منذ تأسيس ديوان التجارة فى ٤ أبريل ١٨٣٦ حتى نهاية القرن التاسع عشر .وعلى نحو ما سبق ، يُعد الأرمن من الرواد الذين ساهموا فى تأسيس وزارة الخارجية المصرية .

وتعزيزاً للدور الوطني للأرمن فى حب المحروسة ، نجد أنه فى أعقاب الاحتلال البريطانى لمصر فى عام ١٨٨٢ ، حدث توغل لرأس المال الأوروبي فى مصر ، أضف أيضاً ، أن أصبح الخديو توفيق ( ١٨٧٩- ١٨٩٢ ) ألعوبة فى أيد الإنجليز ، إلا أن الوضع تغير بعد صعود ابنه عباس حلمى الثانى لسدة الحكم فى يناير ١٨٩٢ ، والذى بدأ حكمه باتباع سياسة عدائية ضد الإنجليز . وجدير بالذكر أن ديكران باشا آبرويان الذى تولى نظارة الخارجية منذ ١٤ مايو ١٨٩١ حتى ١٥ أبريل ١٨٩٤ قد أيده بشدة فى هذه السياسة ، وأبدى وطنية أدهشت عباساً لدرجة أن قال : « كنتُ قبل أن أصير خديوياً أعرف أن ديكران باشا أرمنى . ولقد دهشت لرؤيتى أرمنياً مثله يكون مخلصاً لمصر إلى هذه الدرجة « .

وتعود أصول ديكران إلى أسرة آبرويان الأرمنية الأزميرية التى تضرب بجذورها إلى أسرة بقرادونى الشهيرة فى التاريخ الأرمنى خلال العصور الوسطى ، تربى ديكران على النهج الفرنسى، وحمل اسم أشهر ملوك أرمينية القديمة، ديكران العظيم ( ٩٥- ٥٥ ق.م. )

**بقلم : د.على ثابت صبري**



، بدأ حياته العملية فى الثانية والعشرين من عمره فى نظارة الخارجية على عهد ذى الفقار باشا . ومنذ عام ١٨٨٤ وحتى عام ١٨٨٨ ، شغل ديكران وظيفة وكيل نظارة الخارجية ، ومنذ عام ١٨٩١ وحتى ١٨٩٤ ، تقلد نظارة الخارجية أربع مرات متوالية.

## ديكران باشا وقضية الحدود المصرية

انتهز السلطان عبدالحميد الثانى (١٨٧٦-١٩٠٨ ) فرصة وفاة الخديو توفيق ، وأرسل فى ١٧ يناير ١٨٩٢ ، فرمان تولية عباس الثانى ، وقد تعمد إدخال بعض العبارات على حدود الأراضى التى يُديرها الخديو قصد منها حرمان مصر ليس فقط من إدارة المراكز التى كانت ممنوحة لها شرق خليج العقبة وإنما قسم من أراضيها وهو شبه جزيرة سيناء.

عند هذا الحد توافقت الآراء المصرية وعلى رأسها رأى ناظر الخارجية ديكران باشا ، وكذلك توافقت مصالح سلطات الاحتلال البريطانى مع موقف مصر المحروسة ، على أن مثل هذا الفرمان يُعد اعتداءاً صريحاً على :

١. تسوية ١٨٤٠- ١٨٤١ التى ضمنتها القوى الكبرى .
٢. وحدة الأراضى المصرية .
٣. الاقتراب العثمانى بشدة من « قناة السويس « مما يهدد شريان الحياة الحيوى بالنسبة لبريطانيا.

ومع رفض الإدارة المصرية متمثلة فى ديكران وكذلك بريطانيا ، تم الضغط بشدة على الأستانة ، مما اضطر الباب العالى للرضوخ أخيراً ، وترك شبه جزيرة سيناء التى أراد أن يسلخها من مصر ويضمها لولاية الحجاز ، وتقرر هذا فى البرقية التى أرسلها جواد باشا الصدر الأعظم إلى الخديو عباس حلمى الثانى فى ٨ ابريل والتى جاء فيها « أما من جهة شبه جزيرة سيناء فهى باقية على حالتها وتكون إدارتها بمعرفة الخديوية المصرية التى كانت مدارة بها فى عهد جدكم إسماعيل باشا ووالدكم محمد توفيق باشا» .

وقد قام السير إيفلين بارنج – اللورد كرومر فيما بعد – بنشر تلك البرقية بصورة عامة واعتبرتها جزءاً لا يتجزأ من فرمان تولية عباس الثانى ، وحتى يُمكن تجنب أى سوء فهم لمعنى البرقية ، فقد قدم المعتمد البريطانى فى القاهرة مذكرة إلى ديكران باشا وزير الخارجية المصرى أبلغه فيها أن يعلم أنه لا يمكن حدوث أى تغيير فى العلاقات بين مصر والباب العالى دون موافقة الحكومة البريطانية، وأضاف « أن برقية الصدر الأعظم التى تفضلتم باطلاعى عليها تجعل من الواضح أن شبه جزيرة سيناء وهى الأراضى المحددة من الشرق بخط سير فى اتجاه جنوبى شرقى من نقطة قريبة من شرق العريش إلى رأس خليج العقبة سوف تظل تحت الإدارة المصرية ، وأن القلعة الواقعة شرق هذا الخط سوف تبقى قسماً من ولاية الحجاز « .

عند هذا الحد ، فقد استعادت مصر حدودها كاملة ، وخاضت معركة دبلوماسية رائعة ، مرتكزة على جهود المخلصين، الذين وقفوا بكل قوة ووطنية لعودة الأمور إلى نصابها الصحيح ، وعلى رأسهم الخديو عباس حلمى الثانى ، و ديكران باشا آبرويان ناظر الخارجية ، وذلك بدعم إنجليزي خوفاً على المصالح الإنجليزية بقناة السويس وطرق التجارة .

وأود أن أُشير إلى أن هذه المواقف الوطنية التى اتخذت فى هذه الفترة التاريخية المهمة من الربع الأخير فى القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين، قد رسمت ملامح الدولة المصرية وحدودها إلى وقتنا الحالى ، وكذلك استفادت الدولة المصرية فى فترات لاحقة من مثل هذه المواقف الوطنية فى الحفاظ على تراب الوطن.

## ديكران باشا والإنجليز ( حلم الاستقلال )

كما ذكر من قبل ، أن عباس الثانى اندهش من إخلاص ديكران لمصر ، بل أكثر من هذا ، تأييد الأخير الخديو فى سياسته العدائية ضد احتلال بريطانيا لمصر ، وآنذاك ، تغيرت حكومة بريطانيا حيث حل جلادستون والذى كان يميل لسرعة الجلاء عن مصر محل سالسبورى المؤيد لاحتلال مصر. لهذا ، رأى ديكران ، وهو على وعى تام بالرأى العام البريطانى من خلال مطالعته للصحف الإنجليزية فى هذه الظروف فرصة مناسبة لإنهاء الاحتلال البريطانى لمصر .

وعلى المسار ذاته ، استاء عباس الثانى بشدة من مصطفى فهمى – رئيس النظار وقتئذ – بسبب استسلامه للسياسة الإنجليزية حتى صار « أداة سهلة جداً فى يدى المعتمد البريطانى « مما جعل المصريون يُطلقون على نظارته لقب « نظارة الأراجوزات « باستثناء ديكران الذى أعطى لهذه النظارة توازناً نسبياً وأبى أن يكون أراجوزاً . ولذا استغل عباس فرصة مرض مصطفى فهمى فى أواخر ديسمبر ١٨٩٢ لتغيير نظارته وترشيح ديكران آبرويان رئيساً للنظار لأنه رجل صادق ونشيط ومستنير ، والأهم، أنه ليس دمية.

بيد أن كرومر رفض هذا الترشيح خوفاً من المشاكل التى سيتعرض لها عندما يتولى ديكران رئاسة النظار ، لذا ما برح يُقاوم هذا الترشيح بكل ما أوتى من قوة . وحسب مذكرات كرومر « أما رغبتى فى عدم إسناد المنصب إلى تجران باشا فكانت لسببين الأول كنت أوقن أن تجران باشا يتبع سياسة العداء للإنكليز . و الثانى أنى كنت أعتقد بأنه لما كان أرمنياً مسيحياً فهو لا يستطيع قيادة الرأى

العالم الإسلامى» ، واستناد لما ورد فى مذكرات كرومر ، فإن مشكلته الأساسية مع ديكران ؛ هى تبنيه سياسة العداء ضد بريطانيا ، و التى كان على يقين بها ، أما كونه أرمنياً مسيحياً فقد جاءت سياق اعتقاد كرومر بأنه لا يستطيع قيادة الرأى العام الإسلامى ، ومن هنا ، بدأت معارضة لمقاومة هذا الترشيح بكل ما أوتى من قوة . فاقترح بدايةً على عباس تعيين رئيس نظار مسلم أفضل من ديكران آبرويان الأرمنى المسيحى . وعندما رفض عباس هذا الاقتراح ، أرسل برقية إلى روزبرى – وزير خارجية بريطانيا آنذاك – مفادها أن عباساً ليس على معرفة وثيقة بالرأى العام ولا يفهمه ، وطالبه بإرسال برقية تُفيد أن تعيين ديكران لا يتفق مع هيبة الحكومة المصرية مما سيجعل عباساً يتنحى عن تصميمه . وجاء رد روزبرى متفقاً مع رأى كرومر فى أنه من الأفضل أن يكون رئيس النظار مسلماً وأن يتجنب تعيين ديكران بكل أوتى من قوة ونفوذ. ثم واصل كرومر تحديه لديكران وشدد الهجوم عليه مستنداً إلى أنه ليس مصرياً ولا يتفق مع المصريين فى جنسهم ولغتهم وعاداتهم وديانتهم .

وأشاع كرومر أن ديكران يتظاهر بعدائه للإنجليز وليس جديراً بدرجة تُؤهله لتقلد هذه المهمة. أكثر من هذا ، أعلن كرومر أن تعيين ديكران رئيساً للنظار سوف يدعو للأسف بدرجة قصوى لأنه سيُسبب العديد من المشكلات للإنجليز.

هذا ، ويكمن السبب الحقيقى وراء اعتراض كرومر على تعيين ديكران آبرويان رئيساً للنظار فى أنه كان ماقتاً للإنجليز . وبالأحرى ، كان يُريد العمل مع المصريين الوطنيين . كما خشى كرومر أن تُعاق سياسته وسلطته إذ حاول ديكران أن يحكم مصر طبقاً لأفكاره المستنيرة والتى لن يستسيغها كرومر على الإطلاق

ورغم هذه الحرب الشديدة على ديكران ، إلا أنه ظل يُناوئ السياسة البريطانية فى مصر حتى زيارة عباس الثانى للأستانة فى مايو ١٨٩٣ والتى كان يُبغى من ورائها كسب تأييد السلطان العثمانى إلى جانبه ضد النفوذ البريطانى . وبينما كان عباس يسعى وراء ذلك ، طاف ديكران السفارات الأجنبية فى الأستانة مدافعاً عن مصر التى استوطنها ومؤيداً حجتها ، بيد أن السلطان العثمانى ، الواقع تحت السيطرة البريطانية ، قد خيب آمالهما ، وحسب مذكرات كرومر « أما تجران فإن السلطان استدعاه وأنذره أن لا يسير على خطه فى سياسة قد ينتج عنها ارتباك ومتاعب وأن لا يشير على الخديو بمثل ذلك . فكانت النتيجة أن سلوك تجران باشا تغير تغييراً بيناً « ، عند هذه النقطة ، أيقين ديكران بأن السلطان لا يهتم بمصر ولا المصريين بل تركها فى يد الإنجليز لتخفيف الضغط عليه ، وثمناً للوقوف معه فى لملمة أشلاء دولته التى تنهار ، كذلك نصح السلطان عباس بطريقة أبوية أن يُفوض أمره إلى الله ويرضى بما قسمه له ، ويُقيم دوماً علاقات حسنة مع الإنجليز.

وبناء على ما سبق ، فقد اتضح لنا ما هى أسباب تحول عباس حلمى الثانى عن سياسته الوطنية لسياسة مهادنة الإنجليز ، وذلك بعد تخلى السلطان العثمانى عنه ، بعدما استنجد به ، وكان ذلك متزامناً مع مشروع الجامعة الإسلامية الذى تبناها الأخير ، إلا أنه فضل ترك مصر لبريطانيا حتى يخفف الضغط البريطانى عليه ، فيتاح له عمل ما يروق له فى الأناضول ضد الأقليات ، وكذلك مساندته ضد التربص الروسى به.

ولكن ، ظل الإنجليز ينظرون إلى ديكران على أنه مصرى وطنى غير مخلص لهم ، ومن كلماته المأثورة البلغية للمعتمد البريطانى فى مصر: « هل أنا وزير مصرى ؟ أم موظف عينته الحكومة البريطانية؟» ويذكر كرومر أنه لا يُمكن توجيه أى لوم أدبى إليه على عدم إخلاصه لأنه لم يكن ماقتاً للإنجليز بالمعنى المألوف للكلمة، بل كان يُعارض الخطوط العامة للسياسة البريطانية فى مصر . ويعزز كرومر موقفه هذا إلى طموحاته الشخصية فى الوصول إلى رئاسة النظار . بيد أن ، ديكران يُصرح علانية ككل مصرى ينتظر الوقت الذى لاتحتاج فيه مصر لمساعدة القوة العسكرية الإنجليزية، ويتمنى استعادة مصر

وحدها حكم السودان لأن به منابع النيل الذى هو حياتها .
وتجدر الإشارة ، أن ديكران لم يستمد مكانته وشخصيته المميزة من مجرد قرابته لنوبار باشا ومصاهرته وتدربه سياسياً على يديه فقط ، بل لانتمائه إلى المدراس الفكرية السياسية الحديثة وإخلاصه تماماً لمصر وسعيه جاهداً إلى تحقيق بعض آمال أهلها ، أضف أيضاً ، أن معظم معاصريه قد وصفوه بأن من أصغر الرجالات البارزين فى الإدارة المصرية وأدهاهم وأكفأهم .

## انعكاسات الدور الوطنى لديكران باشا على قضية طابا المصرية

جاءت المراسلات المتبادلة بين ديكران باشا والحكومة البريطانية ، وكذلك الصدر الأعظم فى الأستانة، أدلة دامغة قوية توضح الحدود المصرية ، التى رفض عباس حلمى الثانى و ديكران التفريط فى حبة رمل واحدة من تراب الوطن الغالى .
ونعلم جميعاً التغييرات التى طرأت على المنطقة العربية بعد إعلان قيام دولة إسرائيل ، ودخولها فى صدام مباشر مع مصر من خلال سلسلة من الحروب التى بدأت بحرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ومروراً بالعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، ومن بعدها نكسة عام ١٩٦٧ ، ثم الانتصار المصرى فى أكتوبر ١٩٧٣ ، إلا أن الحروب دائماً لا تنتهى إلا على طاولة المفاوضات ، لذا ، عقدت اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل فى عام ١٩٧٩ برعاية أمريكية ، والتى بموجبها بدأت إسرائيل انسحابها من سيناء ، وفى أواخر عام ١٩٨١ الذى كان يتم خلاله تنفيذ المرحلة الأخيرة من مراحل هذا الانسحاب ، سعى الجانب الإسرائيلي إلى افتعال أزمة تعرقل هذه المرحلة ، وتمثل ذلك بإثارة مشكلات حول وضع ١٤ علامة حدودية أهمها العلامة (٩١) فى طابا ، الأمر الذى أدى لإبرام اتفاق ٢٥ أبريل ١٩٨٢ والخاص بالإجراء المؤقت لحل مسائل الحدود ، والذى نص على عدم إقامة إسرائيل لأى إنشاءات وحظر ممارسة مظاهر السيادة ، وأن الفصل النهائى فى مسائل وضع علامات الحدود المختلف عليها يجب أن يتم وفقاً لأحكام المادة السابعة من معاهدة السلام المبرمة بين البلدين ، والتى تنص على حل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير المعاهدة عن طريق المفاوضات ، وأنه إذ لم يتيسر حل هذه الخلافات بالمفاوضات فتحل عن طريق التوفيق أو تُحال إلى التحكيم .
وفى ١٣ يناير ١٩٨٦ أعلنت مصر موافقتها على قبول التحكيم ، وبدأت المباحثات بين الجانبين وانتهت إلى التوصل إلى « مشارطة تحكيم « فى ١١ سبتمبر ١٩٨٦ ووهى تُحدد شروط التحكيم، ومهمة المحكمة فى تحديد مواقع النقاط وعلامات الحدود محل الخلاف . وعلى هذا النحو شكلت جمهورية مصر العربية فريقاً متنوعاً للدفاع عن مصرية طابا ، تكون الفريق من (٢٤ ) خبيراً بينهم (٩ ) من أقطاب الفكر القانونى ، من بينهم الأستاذ الدكتور وحيد رأفت ، والأستاذ الدكتور مفيد شهاب أستاذ القانون الدولى ، إضافة إلى ( ٢ ) من علماء الجغرافيا والتاريخ منهم الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق و(٥ ) من الدبلوماسيين من بينهم الوزير نبيل العربى – أمين عام جامعة الدول العربية حالياً– و ( ٨ ) من العسكريين وخبراء المساحة العسكرية على رأسهم اللواء عبدالفتاح محسن مدير المساحة العسكرية آنذاك.
وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٨٨ أعلنت هيئة التحكيم فى چينف بسويسرا فى النزاع حول طابا ، وجاء الحكم فى صالح مصر مؤكداً أن طابا مصرية ، وفى ١٩ مارس ١٩٨٩ كان الاحتفال التاريخى برفع علم مصر معلناً السيادة على طابا وإثبات حق مصر فى أرضها .
ويُشير الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق فى كتابه ( الأصول التاريخية لمسألة طابا : دراسة وثائقية) إلى الوثائق التى اعتمد عليها فريق الدفاع المصرى فى قضية طابا ، ومنها مراسلات ( تجران ) ديكران باشا ناظر الخارجية المصرى ، بخصوص فرمان تولية عباس الثانى ، ومسألة اقتطاع جزء من الأراضى المصرية وضمها للحجاز وفق الفرمان العثمانى ، إلا أن ردود ديكران باشا تماشت

مـع الموقـف الوطنـى المحافـظ علـى تـراب الوطـن ووحـدة أراضيهـا، وعـززت موقـف مصـر فـى هـذه القضيـة التاريخيـة. وعنـد هـذا الحـد ، لابـد أن نعـى أن الأشـخاص الذيـن يقومـون بـدور وطنـى ، مهمـا حـاول الآخريـن تشـويه صورتهـم، إلا أن التاريـخ لا يذكـر إلا الرجـال أصحـاب المواقـف الوطنيـة .

كمـا أن الصحافـة المصريـة قد رصـدت هـذه القضيـة علـى صفحاتهـا عبـر جريـدة ( الصحافـة) الصـادرة بالقاهـرة لمحررهـا مصطفـي توفيـق الجراحـي علـى مـدار ثلاثـة أعداد ( ٦٠- ٦١- ٦٢) ، بتورايـخ ( ١٥-٢٢-٢٩ أبريـل ١٩٠٦) تحـت عنـوان: صفحـة مـن التاريـخ وقـد أثـرت مجلـة أريـك أن تُقـدم لقرائهـا صـورة مـن تلـك التغطيـة




الصحافة
La Presse Egyptienne



# مئوية روز اليوسف

بقلـــــم د.هشام ابراهيم على
دكتوراه فى التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة المنوفية

روز اليوسف أو فاطمة اليوسف امرأة حديدية استطاعت بإرادتها وعزيمتها القوية من مجابهة صعاب جسام في ظل ظروف حياة بالغة الصعوبة منذ نعومة أظافرها ، إلا أنها صنعت لنفسها مجداً في عالم الصحافة المصرية ، بعد أن تمكنت من خلق اتجاه صحفي يضاهي من خلاله العمالقة من الكتاب والمبدعين .

هذا الابداع الذي جعلها واحدة من مشاهير الفن والصحافة والسياسة في مصر في النصف الأول من القرن العشرين .

وتعود جذورها إلى بيروت بلبنان ، فهي من مواليد الثاني من اغسطس من عام ١٨٩٨م ، حيث نشأت وسط أسرة مسلمة يتيمة الأم ، أما والدها فهو محي الدين اليوسف تركي الأصل والذي اضطرته الظروف للسفر من بيروت وترك ابنته التي رحلت والدتها فور ولادتها للعيش في كنف أسرة مسيحية كانت تناديها باسم روز ، ثم انقطعت أخبار والدها بعد ذلك .

تولت تلك الأسرة رعاية الطفلة الصغيرة خاصة مع انقطاع أخبار الاب ، بما جعل الأسرة تخفي عن الطفلة حقيقة أسرتها ، إلا أنها علمت بحقيقة أسرتها مع بلوغها العاشرة من عمرها ، وذلك عندما أرسلتها أسرتها – التي عاشت في أحضانها – مع صديق الأسرة للولايات المتحدة ، الأمر الذي أدهش الطفلة الصغيرة من سهولة تفريط أسرتها فيها ، وهو ما دعا مربيتها لاطلاعها على حقيقة الأمر وأنها مسلمة وليست مسيحية وأن اسمها هو فاطمة وليس روز .

جعل هذا روز تتظاهر بالموافقة على السفر مع صديق العائلة ، ولكن ما إن رست السفينة في الإسكندرية حتى غافلته روز وانطلقت إلى داخل المدينة .



واستمرت بها عجلة الحياة حتى اكتشف الفنان عزيز عيد موهبتها الفنية ، فبدأت حياتها الفنية ككومبارس حتى لاحت لها الفرصة ومنحها عزيز عيد دور سيدة عجوز رفضته سائر ممثلات الفرقة المسرحية ، إلا أنها اغتنمت الفرصة وأدت الدور ببراعة لاقت عليه استحسان واعجاب الجمهور .

أدت روز عديد من الأدوار علي خشبة المسرح منذ طفولتها ، كما قدمت أيضاً مقطوعات موسيقية ، هذا في الوقت الذي أصقل فيه المخرج المسرحي اسكندر فرح موهبتها الفنية عقب لقائه بها وتعرفه عليها .

بعد ذلك انتقلت روز اليوسف من الاسكندرية إلى القاهرة حيث التحقت بفرقة جورج أبيض والتي أسسها في عام ١٩١٢م ، ثم جاء توهجها وتألقها خلال عملها مع يوسف وهبي بعد تكوين فرقة رمسيس في عام ١٩٢٣م والتي كانت فيها روز بطلة الفرقة وبلغت فيها نجوميتها للعنان عند ادائها دور مارجريت جوتيه في رواية غادة الكاميليا ، هذا

الدور الذي منحها لقب برنارد الشرق لموهبتها التي تشبه الفنانة الفرنسية سارة برنارد .
اعتزلت الفن في أعلى درجات المجد متجهة صوب موهبتها وحبها وهو الصحافة ، فأصدرت مجلة أسبوعية تحمل اسمها في السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٢٥م ، تلك المجلة العريقة التي حملت لواء التنوير في مصر منذ بداية صدورها والتي لا تزال تصدر حتى يومنا هذا ، وإن تم تأميمها كسائر المطبوعات الصحفية عقب ثورة يوليو ١٩٥٢م .
وساهم محمد التابعي نجم الصحافة في مصر في ذاك الوقت في انشاء المجلة وخروجها إلى النور بما لديه من ملكات وأدوات صحفية قادرة على صنع مطبوعة صحفية قوية من اليوم الأول .
وهو ذاك الأمر الذي حرصت عليه روز من خلال انتقاءها لزمرة من المهرة والمشاهير من الكتاب الصحفيين كالأخوين على ومصطفى أمين وعباس العقاد ونجيب محفوظ وكذلك عائشة عبد الرحمن وغيرهم .
وبدأت مجلة روز اليوسف أولى خطواتها في عالم الصحافة كمجلة فنية أدبية تهتم بأخبار الفن والأدب ، ثم سرعان ما تحولت إلى عالم السياسة في عامها الثالث بعد الصدور .
وخاضت المجلة صراعات عنيفة مع الملك والانجليز والحكومات المتعاقبة ، فقامت بحمله شرسة ضد حكومة نسيم باشا حتي تقدمت باستقالتها ، وهو ما تعرضت معه المجلة للمصادرة عديد من المرات منذ عام ١٩٢٨م ، حيث تمت مصادرة ما يزيد عن أربعين من أعدادها من اجمالي مائة وأربعة .
الأمر الذي ترتب عليه اصدارها لصحيفة روز اليوسف في عام ١٩٣٥م ، والذي كان ضمن كوكبة كتابها عباس محمود العقاد وكذلك نجيب محفوظ ، فكانت من القوة والانتشار الذي جعلها تهدد مكانة اصدارات صحفية كبيرة مثل الأهرام في ذلك الوقت ، ولكن رغم هذا تعرضت روز لأزمة مالية خانقة انتهت بها للإيداع في السجن نتيجة لتراكم الديون عليها ، خاصة بعد رفض باعة الصحف عرض الصحيفة للبيع بسبب اتجاهاتها السياسية .
جعل هذا روز تحاول تلافي أضرار توقف الصحيفة عن الصدور ، فأصدرت عدد من المطبوعات الأخرى كمجلة الصرخة وأيضاً مجلتي مصر الحرة والرقيب وكذا مجلتي صدى الحق وطليعة اليوم .
انعكس ذلك على مخزونها الثقافي واسهامها في حركة الأدب والثقافة ، حيث أصدرت في هذا الإطار الكتاب الذهبي وسلسلة من المطبوعات السياسية والفكرية ، كما نشرت أيضاً في عام ١٩٥٦م مذكراتها والتي جاءت تحت عنوان ذكريات ، هذا بجانب اصدارها لمجلة صباح الخير والتي وضعت رمزاً وشعاراً لها ، وهو القلوب الشابة والعقول المتحررة ، فكانت بمثابة جامعة افرزت نجوم لامعة في عالم الصحافة في العصر الحديث .
تزوجت روز اليوسف من ثلاثة رجال أولهم الفنان محمد عبد القدوس وأنجبت منه الأديب إحسان عبدالقدوس والذي عمل بجانب والدته روز في جريدتها ، حيث ناصرته بقوة في آرائه الجريئة والحرة سواء في العصر الملكي أو عقب ثورة يوليو ١٩٥٢م ، وعقب انفصالها عن محمد عبدالقدوس تزوجت من نجم المسرح زكي طليمات وانجبت منه ابنتها آمال ، وأخيراً جاء اقترانها بحفيد المفكر قاسم أمين – أحد رواد حركة التنوير في مصر في مطلع القرن العشرين – وهو المحامي قاسم امين .
رحلت روز اليوسف عن عالمنا في العاشر من أبريل ١٩٥٨م عن عمر ناهز الستين عام ، حيث قال عنها مصطفى أمين في كتابه مسائل شخصية إن أغرب ما في قصة تلك المعجزة أنها وهي صاحبة أكبر مجلة سياسية في الوطن العربي لم تكن تعرف كيف تكتب ، بل أن خطها كان أشبه بخط طفل صغير ، وعلى الرغم من هذا كانت قارئة ممتازة وذواقة للأدب والشعر .
وفي نفس الإطار كان لروز قول مأثور في مجلتها وهو كلنا سنموت ، ولكن هناك فرق شاسع بين شخص يموت وينتهي أمره وشخص مثلي يموت ولكن تظل ذكراه العطرة حاضرة بسيرته وتاريخه .

# الخروج للنهار.. النهضة بالعربي

## قراءة في كتاب ( النهضة القومية – الثقافية العربية )



بقلم / أ.أحمد محمد إنبيوه

النهضة، ربما تكون الإشكالية الأكثر محورية في تاريخ العرب الحديث. لذا مع كل دراسة جديدة تتناول تلك الإشكالية؛ يكون التساؤل الذي يلح أذهاننا هو، ما الجديد الذي يمكن أن تقدمه دراسة أخرى عن النهضة العربية. ربما ما يمكن قوله كتصدير أولى لتلك الإجابة هو محاولة التعامل مع التاريخ كمخيال جمعي؛ أي التاريخ من زاوية أكثر شمولاً وحدقة أكثر اتساعا من أن قطر بعينه هو صاحب الفضل النهضوي – كسوريا أو مصر. ومرة أخرى، لماذا دراسة جديدة عن النهضة؟ ربما انطلاقا من ثقل الراهن، وربما محاولة الوصول لإجابات شافية لأسئلة النهضة التي أثارتها تجربة القرن التاسع عشر. فهي إذن محاولة انطلاقا من الحاضر للتنقيب في أرث الماضي فربما نجد ما نصبو إليه، وما دمنا ما لم نصل بعد إلى الصيغة التي تجعل من النهضة معادلة الوجود الأولى لواقع ما زال مأزوماً؛ فإننا نضطر لأن نخضع لإشكاليات الواقع المأزوم الذي يلح علينا كى نعيد قراءة الماضي، بل وربما كتابة تاريخنا وتراثنا من جديد؛ خاصة إذا كانت الأزمة التي تحلق في سماءنا الحاضرة هي ذاتها التي واجهت أجدادنا. لذلك لا بأس من العودة إلى الأصول، من العودة إلى الجذور، من العودة إلى لحظات الانبلاج الأولى في تراثنا النهضوي. فقد بتنا نحتاج كل فترة من الزمن إلى من يلج كهف تاريخ القرن التاسع عشر، كهف ماضينا العربي المشترك. لذا، من الطبيعي ان نعيد قراءة بعض الدراسات التي تناولت ذلك التراث الإشكالي. وكتاب يغيا نجاريان « النهضة القومية – الثقافية العربية » هو فرصة جيدة لتحقيق ذلك. وهو الكتاب الذي نشر عن الدار الوطنية الجديدة في العام ٢٠٠٥. ومن ترجمة بوغوص ساراجيان.




يبدو من المنطقي أن نتعرف في البداية على المؤلف، المجهول بالنسبة لنا في المحيط العربي، الدكتور يغيا هوفسيب نجاريان ولد ببيروت سنة ١٩٣٢ حيث تلقي تعليمه الأول، إلى أن هاجر هو وأسرته سنة ١٩٥٨ إلى أرمينية السوفيتية، حيث درس وتخرج في كلية الآداب واللغة الأرمنية بجامعة يريفان، لكن ربما التحول الأهم في حياته؛ عمله في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية بأرمينية حيث حصل من هناك على لقب الدكتوراه. ومن مؤلفاته: « العلاقات الثقافية الأرمنية – العربية »، « لبنان في أواخر القرن الثامن عشر وبداية النصف الأول من القرن التاسع عشر »، « الملف الأسود لقضية أرتساخ ( كاراباخ ) ». ربما نلاحظ من مؤلفات الرجل أنه من اولئك الأكاديميين الذين يطلق

عليهم لقب المستشرقين. فماذا يمكن أن يضيف هذا المستشرق السوفيتي الأرمني للدراسات التي تناولت النهضة العربية في القرن التاسع عشر ؟. هذا ما حاول نجاريان ان يجيب عليه في كتاب من القطع المتوسط صادر في الأصل باللغة الارمنية ومترجم إلى اللغة العربية ضمن سلسة كتاب الأهالي. هدفه « أن يسد بعض النقص في كتابة تاريخ النهضة العربية انطلاقاً من المنهج العلمي التحليلي الرامي إلى إلقاء الأضواء الكاشفة على الكثير من القضايا التي لا تزال تثير العديد من التساؤلات.. فالدراسة تحيط إحاطة علمية كاملة موضوع النهضة وتناوله تناولاً علمياً شاملاً «. أما عن الترجمة، لقد ألتجأ مترجم هذه الدراسة إلى الرائق من تراكيب العربية، وإلى الأنيق من كلمات لغة الضاد. لقد جعلنا المترجم نقرأ الدراسة كأنه أصلاً مكتوب بالعربية وللعربية. وفي نفس الوقت نجد ان المترجم قد تعامل مع النص تعاملاً أميناً، ولم ينزلق إلى ما يسمى في أدبيات الترجمة بـ « خيانة النص «. تلك كانت إشارة استفتاحية لابد منها.

ينطلق الكاتب في تعرضه لموضوع النهضة من زاوية ميله الأكاديمي الاستشراق لكنه بدا منتمياً إلى طائفة من المستشرقين، الذين لم يكن لهم غاية سياسية مباشرة من تحقيق تراكم معرفي بالعرب وثقافتهم وتاريخهم الفكري في العصر الحديث، فالرجل كما هو واضح ينتمي إلى مدرسة الاستشراق السوفيتي تلك التي لم تنالها سهام النقد اللاذع بصدد تسخير المعرفة في خدمة السلطة الإمبريالية، فمن المنطقي أن يكون اعتماده الرئيس في شبكة مظانه المعرفية، التي يستقي منها كثير من معلوماته وتحليلاته، على المستشرقين والمؤرخين الروس، ثم بالدرجة الثانية الغربية ويحدد دافعة لإنتاج دراسة في موضوع شائك كهذا « تجدر الاشارة إلى عدم وجود بحث لتاريخ النهضة العربية في الادبيات الاستشراقية وربما تكون هذه الدراسة هي المحاولة الأولى؛ لدراسة النهضة الثقافية القومية العربية دراسة شاملة تعتمد على المنهج التحليلي النقدي».

ولأن نجاريان ينتمي إلى صنف مختلف من دارسي الشرق؛ فقد آثر ان يدشن دراسته ببداية منطقية تتمثل بعقد مقارنة بين نهضة الشرق ونهضة الغرب، والتي ينتصر فيها للرأي الموضوعي الذي يرى أن النهضة ابنة زمانها دوما أي أبنة الظرف التاريخي فالفارق بين نهضة الشرق ونهضة الغرب ليس كالفارق بين السماء والأرض. فمن « الحقائق المسلم في تاريخ الاستشراق السوفيتي أن حضارة الشعوب الشرقية، ولا سيما العربية – الاسلامية كانت أعظم شأناً وأسمى مكانة، مما كانت عليه الحضارة الغربية في القرون الوسطى. ومن أن الحضارة العربية كغيرها من الحضارات الشرقية، كالصينية والايرانية والأرمنية، عاشت فترات ازدهار ورقى لم تر الحضارة الأوربية نظيراً لها «. ورغم هذا الاحتفاء بخصوصية تجربة النهضة العربية، تلك الخصوصية المنطلقة من أرضية استشراقية سوفيتية مغايرة لنظيرتها الغربية المؤسسة على المركزية المعرفية. رغم هذا نجده، أي نجاريان يبدأ بالحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ كعلامة فارقة ونقطة البدء في عملية النهضة.

ولكن الجديد هذه المرة في دراسة النهضة العربية أن الدراسة ليست موجهه إلى القارئ العربي أو حتى الغربى، لكنها موجهه وبالغرابة إلى القارئ الأرمني، نعم القارئ الأرمني؛ ذلك أن منتج الدراسة هو أرميني أصلا وفصلا وجنسا وجنسية. أما لماذا فلان أرمينية كبلد وكشعب وجاليات أرتبط تاريخها بالأقطار العربية منذ قرون طويلة خلت كانت درة تاج ذلك الارتباط في القرن التاسع عشر؛ الارضية الزمانية للدراسة. ربما هذا يفسر لماذا إقدام أرميني على دراسة تاريخ النهضة وتاريخ الفكر العربي وتاريخ رجالاته.

كما أن نجاريان يرى أن دراسته تنحى منحا مختلفاً عن الدراسات الغربية إلى تناولت نهضة الشرق كرد فعل للنهضة الغربية. ولابد أن للنهضة أسئلتها الاشكالية ويبنى نجاريان دراسته على هيكل عظمى مبتغاه محاولة الإجابة على عدد من الاسئلة الإشكالية. ربما يكون السؤال الإشكالي الأول. نبع النهضة ومهدها الأول هل ينسب إلى سوريا الكبرى

(سوريا لبنان وفلسطين) أم إلى مصر. وما الدور الذي لعبته النخبة المسيحية في عملية النهضة؟ وهل كانت النهضة نبتا فكريا للسلطة الإقطاعية في مصر وسوريا؟
يمكن القول، أن نجاريان يراهن من بداية دراسته لعملية النهضة، على عمليات تتبع نشاءة أدوات حداثية لعبت أدواراً مهمة في عملية التنوير والنهضة؛ كنشاءة الصحافة ثم الطباعة والجمعيات الأهلية التي لعبت أدوارًا بارزة في عملية النهضة. وإذا كانت السلطة السياسية في كل من مصر والشام هي منشئة تلك الادوات الحداثية؛ فان رعاتها فكريا من ادباء وفكرين؛ هم الذين أسسوا لتأثيرها ونفوذها وسط الجماهير. ولقد كان كل ذلك مؤطراً بفضاء مكاني اجتماعي. فلنستعرض ذلك الفضاء وما يلتبس به من أسئلة.

## الفضاء المكاني الاجتماعي للنهضة ورجالها

حول النهضة كفكرة ومصطلح إشكالي، أي حول النبع الفكري والموطن والمؤل الجغرافي وقراءة الخلفية الاجتماعية لجماعات الانتاج والطبقات الاجتماعية الحاوية والحاضنة والمتبنية لأفكار النهضة؛ يحاول نجاريان أن يتقصى آثار النهضة في الفضاء العربي. رغم أن عنوان الكتاب « النهضة القومية – الثقافية العربية « إلا أن إطار الدراسة الجغرافي يقتصر بالفعل على سوريا الكبرى ومصر؛ فسوريا ومصر كما يقول يغيا نجاريان: استيقظتا مبكرتين من كبوتيهما. وبهذا يغدو منطقياً أن يدخل نجاريان في محاولة استنكاء السؤال الإشكالي لمن كانت بداية النهضة، لمصر أم لسوريا؟
لا يتوقف المؤلف كثيرا أمام الاجابة عن هذا السؤال؛ إذ ما يلبث أن يدخل سريعا عبر التشريح الجيوتاريخي في الآتون الزمني لتجربة النهضة المصرية. لكن الأمر غير المنطقي أن نجاريان الذي دأب على انتقاض الرؤية الغربية التي جعلت من النهضة العربية مجرد انعكاس للنهضة الاوربية، ينحاز وببساطة إلى تلك الرؤية؛ حينما يبدأ حديثه بحملة نابليون على مصر ( ١٧٩٨- ١٨٠١ ) بالقول « أن حملة نابليون هزت روتين الحياة السائد في الأقاليم العربية « أو حينما أورد رأي بعض الكتاب الفرنسيين قوله « إن البذور الأولى للحضارة الأوربية قد تسربت بسرعة في الأرض المصرية من شقوق صناديق الذخيرة التي نقلتها الحملة الفرنسية « دونما ذكر إلى هدف نابليون تحويل إلى رأس حربة في مشروع استعماري ضخم تبغي فرنسا من وراءه أن تتحول إلى دول عظمى قولا وفعلاً، لا تحويل تحقيق النهضة على ضفاف النيل. على جانب آخر يمكن القول، أن خلاصة تجربة محمد على تقطرت وتكثفت في إيقاظ الوعي المدفون في أعماق الكيان الحضاري المصري. فرغم أن محمد على استخدم أدوات معرفية لتحقيق القمع المادي والإذعان الذهني، لكن الامر المثير؛ أنه من إهاب الإذعان الذهني ووسائله وطرائقه تولدت الأدوات التي ساهمت في صياغة الوعي بعد عملية ضبطه وعلى رأس تلك الأدوات، الصحافة والمطبعة.
وللصحافة والمطبعة أفرد لهما نجاريان من القول ما يقنع القارئ أن أدوارهما كانت موازية لأدوار الجيش في عملية النهضة والتحديث. وبالإضافة إلى ذلك فقد أنشأ محمد على المدارس التي وصفها نجاريان بالعلمانية لتغذية مشروعة بالقوى البشرية المؤهلة. وكعادته على طول الكتاب، يحاول نجاريان أن يسير الهوينى منقبا في البنية الاجتماعية للطبقات المتحكمة، ومدى تشربها لقيم التحديث ومدى الدور التي قامت بها ككيان جامع وكأفراد في القيام بأدوار في عملية النهضة أو ربما القيام بالدور الأكبر في عملية النهضة. لكن النتيجة التي يصل إليها هي أن نقطة البدء كانت من الدولة. إلى جانب ذلك سنكتشف مع نجاريان عدد من الأرمن الذين كانوا أعضاء في البعثات التي ارسلها محمد على إلى أوروبا.
ثم تنتقل كادرات كاميرا النهضة إلى أرض الشام؛ جرياً على عادة العرض الزمني الأفقي للنهضة ما بين مصر والشام. وهو في ذلك الإطار يبدأ من حيث اعتداد أن يبدأ، أي من المنطقة الاشكالية المنطقة الرمادية الملغمة بالأسئلة، وأغلبها يدور

حول فضاءات النهضة من قبيل: ما الأدوار التي لعبها مسحيو الشام في عملية النهضة؟ وما دور المبشرين الاوربيين في عملية النهضة ؟ وما هي الطبقة الاجتماعية التي اخذت دور الظهير الاجتماعي للنهضة ورجالها ؟ بالجملة وبالنهاية النهضة صناعة من ؟

في البداية، يمكن القول، أن بر الشام كان مؤهلا لاستقبال المؤثرات المنشئة والحركة للعوامل التي تحقق النهضة. ربما يكمن العامل الأول في الطبيعة الجيوسياسية لبلاد الشام فقد كانت على اتصال جيد بالواقع الأوروبي. ربما كان العامل الثاني متمثلا في التركيب الابستمولوجي والاجتماعي للنخبة الشامية في سوريه ولبنان. والعامل الثالث، يتمحور حول المطبعة، تلك التي يمكن أن يعزو لها صناعة التنوير في لبنان وتحويل المعرفة إلى ايقونة حياتية. غير أنه يمكن القول إن النهضة بادئ الأمر تسربت إلى الواقع الشامي متدثرة بأردية دينية، محلية كانت أو وافدة؛ حيث أن الدين كان المستأثر بكل أشكال الإنتاج الثقافي المعرفي إبان تلك الفترة. وربما من هنا تكون الإمكانية مواتية للإجابة عن التساؤل الأول، عن دور المسيحية الأوربية والمحلية في عملية النهضة.

كانت سورية ولبنان في القرن التاسع عشر مهداً لموجات من المبشرين، الإنجيليين الأمريكان على الأخص. وقد وجه هؤلاء المبشرون جُل جهدهم في اقامة المدارس معتمدين على المعرفة الموسوعية التي تتمتع بها البعض، مثل القس الامريكي وليم طومسون، الذي كاتن عالما بالآثار. غير ان تلك الجهود التبشيرية المتشحة بالتنويرية بدا وكأنها للمسيحيين فقط، ربما أولها أن التمركزات الطبقية البرجوازية التي مثلت الظهير الاجتماعي للنهضة أتت من أوساط تنتمي إلى المسيحية. لكن هذا لا ينفي أن الإدراك – بعد ذلك – سرى في أنفس المبشرين والمستشرقين المعاصرين « أن تطور البلاد وتحقق النهضة ممكن في حالة واحدة عدم اقتصاره على العرب المسيحيين، فالعرب المسلمون الذين يشكلون الغالبية العظمى من سكان سوريه يجب أن ينخرطوا في مسار الحركة التقدمية التي نشأت في البلاد. وهذا ما فرضه الأمر الوقع».

ما لبثت المسيحية الشامية أن أخذت مقود المبادرة في دورها النهضوي التي اضلعت به المسيحية عموما. وتمثل هذا الدور في إسهامات مؤسسية للكنائس المسحية بطوائفها المختلفة ولرموز يحسبوا على المسيحية. لكن في البداية أخذ نجاريان على عاتقه تفكيك عنقودية التقسيم الطائفي، الذي ربما يستعصي فهمه على غير أهل الاختصاص « الطائفة الكلدانية – الملكية لم يتخذ أبناؤها تسمية الأرثوذكس العرب والكاثوليك العرب، بل أطلقوا على أنفسهم أسم الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك، نسبة إلى روما (بيزنطة) واليونان. أما الموارنة فيعتقدون بروابط القربى مع السريان، وليس مع العرب. ناهيك بأن السريان واليعاقبة والكلدان يعدون أنفسهم أسياد سورية الحقيقيين الذين طردهم الفاتحين العرب من وطنهم الأصلي «. هنا نجد أن نجاريان يركز كثيرا على أحد البواعث السوسيوسيكلوجية التي حفزت المسحيين لأخذ زمام المبادرة في عملية النهضة؛ لذلك سيكون للبرجوازيين المسيحيين دوراً عظيماً في المجالين الاقتصادي والفكري على قسم معين من سورية، والأرجح على الأرض اللبنانية وفي المقام الأول على بيروت، والمدن الساحلية « حيث يشكل النصارى غالبية السكان، وكانوا على مستوى ارقى من التطور الاقتصادي والاجتماعي والفكري – الحضاري « إذن يمكن القول أن الحواضر بيروت/دمشق، القاهرة/الاسكندرية؛ لعبت أدوار فاعلة في عملية النهضة.

بداية، اشتهرت حلب في القرن التاسع عشر، زيادة على كثافتها السكانية وأهميتها الاقتصادية، بكونها مركزاً حضارياً للعلم والأدب. فالعائلات الحلبية التي تعاطت التجارة، اشتهرت برعايتها للعلوم والفنون. وعلى جانب آخر، ساهمت بعض العوامل الموضوعية والظروف التاريخية في عملية تجذير حركة النهضة في بيروت، منها: تضخم عدد السكان النصارى في المدينة نتيجة للمذابح الدموية إبان الفتنة الطائفية الكبرى سنة ١٨٦٠، وازدياد عدد الأجانب وخاصة الفرنسيين، وانتعاش الحياة التجارية والاقتصادية، وزيادة الاهتمام ببيروت

بوصفها معبراً استراتيجياً للتغلغل الاقتصادي والثقافي الأوروبي إلى الدولة العثمانية وفي المقام الأول إلى بر الشام، وتعدد المبادرات الاجتماعية الثقافية من جراء المنافسة الحادة بين مختلف الطوائف. بفضل هذه الحوافز نالت بيروت وفي أمد قصير امكانية السير في خط بياني صاعد للحياة الفكرية – الثقافية.

## الأصول الاجتماعية لنخبة النهضة

هذا يستدعى الاقتراب من بعض هؤلاء الذين أوردهم نجاريان بوصفهم «حاملى مصباح ديوجين». المعلم بطرس البستاني عميد الأسرة البستانية، التي لعبت أدواراً فاعلة في عملية النهضة، يمثل وحدة « قبيلة تنويرية «، أستخدم واستقطر تكنولوجيا الزمان وجيوسياسية المكان في خلق مؤسسة تنويرية شملت المدرسة والصحيفة. وعن المدرسة يقول نجاريان « مثلت المدرسة الوطنية البستانية ظاهرة هامة في الحياة الاجتماعية والثقافية ببيروت، لأنها امتازت بأداء رسالة وطنية سورية عربية علمانية.. وقد نالت المدرسة شهرة عظيمة في عموم الشرق العربي، فتوافد إليها أكثر من مئتي طالب من الأقاليم العربية التابعة للسلطنة العثمانية «. أما عن الصحيفة فقد لعبت نفير سوريا والجنان أداورا مؤسسة.

أما إذا اردنا الحديث عن عُمد الخيمة النهضوية. يمكن القول، أن المطبعة والكتاب والمدرسة والجمعية العلمية كانت هي الأدوات التي استخدمها رودا النهضة لنشر الأفكار وأيقنة الأصيل منها في الوجدان الجمعي. ولا ريب، أن هذا يستدعى، الاقتراب من ميكانيزمات عمل إحداها؛ وهي الجمعية العلمية. يمكن القول إن الجمعيات العلمية لعبت أدوراً مؤثرة في تهيئة الذهنية الجماعية لاستقبال الوافد النهضوي الجديد. ربما كانت أولى الجمعيات العلمية في البلاد « الجمعية السورية «، التي تأسست في بيروت في عام ١٨٤٧ بمساعي المبعوثين الأمريكيين، وكان الغرض منها نشر العلوم وترقية الفنون بين الناطقين بالضاد. وقد مهد نشاط هذه الجمعية الطريق أمام أديب اسحق ورزق الله حسون والاسرة البستانية؛ لنشر أفكارهم إلى تتعارض مع كثير من الثوابت الراسخة في الوجدان الجمعي تلك المتعلقة بالعلاقة بين الحاكم والشعب والعلاقة الازلية الوثيقة بين الجهل والفقر. لقد بات من المسلم في تلك الفترة أن المعرفة هي الطريق الأول الذي ينتهي بالوصول إلى النهضة بنهايته. أما عن أعضاء الجمعية، فقد ذكر المؤرخون أن الجمعية السورية ضمت صفوة من الأدباء والعلماء والوجهاء والفضلاء في ذلك العصر. وحرى بالتسجيل أن اغلب اعضاء الجمعية العلمية السورية كانوا ينتمون إلى عائلات برجوازية، مثل: عائلات مشاقة ومدور وكتفاجو ونوافلة. على جانب آخر، أنقسم أولئك المنضوون تحت راية تلك الجمعية إلى فئتين أساسيتين: مثلت الفئة الأولى الشباب المثقف المتعلم. أما الفئة الثانية، فقد تمثلت في الطلبة المتعطشون للعلم والمعرفة. المهم بعد ذلك كله أن نشاط الجمعية ما لبث أن توقف في خمسينيات القرن التاسع عشر، ثم عادت معترف بها رسمياً من قبل السلطات العثمانية عام ١٨٦٨.

واذن لقد آن أن ننتقل بقدنا وقديدنا النهضوي إلى وادي النيل. يمكن القول بداية، أنه من الحقائق التاريخية أنه في ظروف الظلم الحميدي، أي بدءاً من أواخر سبعينيات القرن التاسع، أخذت بيروت ( وهذا يعنى لبنان بحدوده المعاصرة وسورية قاطبة ) تفقد الصفوة المختارة من الرواد البارزين في الميادين الفكرية – الثقافية والاجتماعية – السياسية. وقد كان هذا مترافقاً مع عملية تحديث ضخمة تجرى وقائعها على ضفاف نيل المحروسة. انصبت تلك العملية في جانب كبير منها على البنى العقلية، بمعنى آخر تحديث الذهن وعصرنته، ولعل عماد تحقيق ذلك الأمر هو الاهتمام بالتعليم، الذي بدأ الاهتمام به من محمد على باشا، وبلغت ذروة ذلك الاهتمام زمن الخديو اسماعيل.

وعلى غرار نهجه في سوريه حاول نجاريان أن

يتلمس أدوات الاشعاع النهضوي في مصر، فأجرى قلمه بالمداد ليصل للحديث عن الجمعيات العلمية ودورها في النهضة فيقول: « أفاد مصدر فرنسي أنه نشطت في القاهرة جمعيتان عربيتان كانت لهما مكتبتان في أواسط الأربعينيات. لكن الثابت أن أول جمعية علمية في مصر وهي المدعوة « الجمعية المصرية »، تلك التي كانت بمثابة إعادة إحياء لـ « المعهد العلمي المصري » الذي أنشأه نابليون سنة ١٧٩٨ وسمت « مجلس المعارف المصري ». وقد استقطبت الجمعية في طورها الأول العلماء الأجانب المقيمين في مصر أمثال ماربيت باشا، ماسبيرو، ويعقوب أرتين باشا وغيرهم. وقد نقل مجلس المعارف المصري إلى القاهرة عام ١٨٨٠. وكانت الفرنسية اللغة الرسمية في الاجتماعات والجلسات والأبحاث الصادرة عنه. وقد سارت على نفس المنوال « الجمعية الجغرافية »، التي تأسست سنة ١٨٧٥، فكان غرضها الأساسي تنظيم العمل في حقل الأبحاث العلمية الجغرافية.

كانت أزمة مصر السبعينات هي الفرصة المثلى كي يودع رواد التنوير ما لديهم من زاد تنويري في مناخ مشتعل أساسا، فلا ضير من أن يستقبل أفكار لها ذات الصفة؛ فازدهرت الحوامل، أي الصحف القادرة على إيصال أفكار النخبة التنويرية إلى قطاع عريض من الجماهير. أما اذا ما أردنا الحديث عن الخلفية الاجتماعية لنخبة النهضة، لابد ن القول بداية أن تلك النخبة هنا، وعلى العكس من نظيرتها في سوريا، كانت قريبة أو في محيط دائرة السلطة أو تعمل في كنف تلك السلطة. لذا، لم تكن يراعها حرة تماما لأداء أدوارها التنويرية كما ينبغي لها.

على جانب أخر « كانت البورجوازية التي تشكلت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والتي يمكن اعتبارها مصرية مجازاً، شكل الأجانب جزءاً مهماً منها، كما لم تكن فكرة الوطن واضحة تماما لديها».

واذن، لقد استهلكت النهضة واستنزفت جهود عقول ويراع أجيال من المتنورين العرب، أفنت حيواتها كاملة في سبيل أن يرى الحلم النهضوي النور على أرض الواقع. لكن الأمر الذي لا مراء فيه أن جغرافية النهضة اتخذت من مصر وسوريه نقاط ارتكاز اساسية لها في المشرق. وقد تداخلت عوامل جعلت من النهضة في كل من مصر وسوريا لها نكهتها الخاصة؛ ففي سوريه جاءت النهضة بعيدا عن يد الدولة العثمانية – المتحكم الإداري وصاحبة السلطة السياسية آنذاك – بل وعلى الرغم منها في أغلب الأحايين؛ إذ لعب المفكرون الأفراد وكذا الجمعيات العلمية وحتى عدد من المبشرين الأوربيين، الأدوار الفاعلة في عملية التأسيس لبنية النهضة الفكرية والمادية بين صفوف الجماهير. بينما في مصر خرجت النهضة من حضن الدولة؛ فرواد النهضة في مصر كانوا من دائرة السلطة، أي ممن يسموا « مثقفي السلطان ». لذا، كان سقف الطموح النهضوي مرتبط دوماً بإرادة الدولة في مصر، أو بالأحرى إرادة الحاكم. ومن زاوية أخرى، ولأن النهضة فعل مؤسس على مساحات عالية من التسامح؛ فقد سمحت الأرضية الفكرية لذلك الجذر لفسيفساء بشرية واثنية أن تشارك في تأسيس بنيان النهضة ماديا وفكرياً.

حضارة

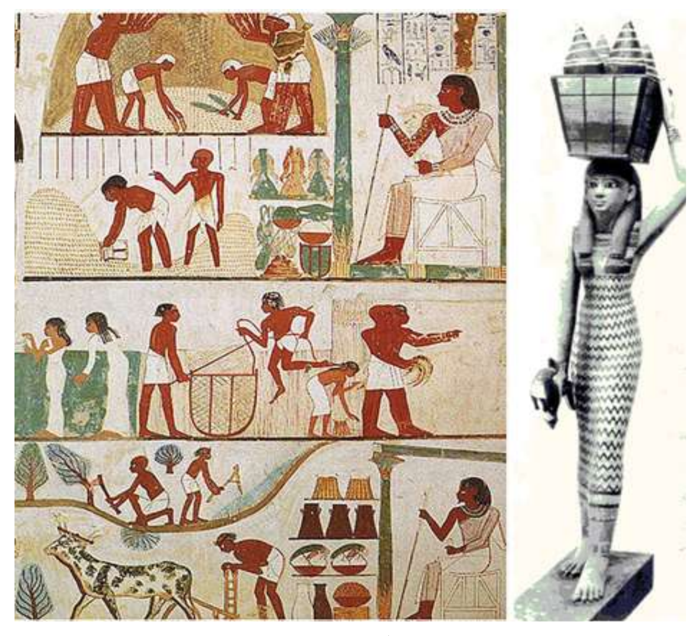
# لغز ابتعاد القدماء المصريين عن ارتداء الملابس الشتوية



بقلم :هدير مسعد عطية

ملابس شتوية ثقيلة متنوعة نحرص على ارتدائها خلال الأيام الحالية تزامنا مع فصل الشتاء والطقس البارد والصقيع بفترات الليل المتأخرة، وذلك على عكس الصورة الذهنية المعروفة عن القدماء المصريين؛ إذ أظهرت جداريات أغلب المعابد، السيدات والرجال بملابس صيفية طوال الوقت، وبالرغم أن المصري القديم عرف الفصول ودوّنها على المعابد والبرديات وعرف البرد والصيف والتقلبات الجوية، إلا أن هنا لغزًا ظل يحير علماء المصريات، وهو لماذا لم يصور المصري القديم نفسه وهو يرتدي ملابس ثقيلة في المعابد والمقابر وحتى التماثيل؟

فقد برع المصري القديم ونجح في تقسيم السنة إلى شهور، وكانت السنة منقسمة إلى ثلاث فصول هي «آخت» وتعني أفق أو بزوغ الشمس بالهيروغليفية، وفيه يتم تهيأت الأرض للزراعة والبذر، وفصل «برت» وهو الشتاء وهو فصل الإنبات، ثم فصل «شمو» وهو فصل الحصاد والجفاف، وهكذا تم تقسيم الفصول وفقًا للدورة الزراعية التي تعد أساس حياة المصريين منذ فجر التاريخ. وكان كل فصل من الفصول الثلاثة يحتوي على ٤ شهور، يشمل فصل «آخت» شهور «توت» وهو الشهر الأول في السنة المصرية القديمة ينسب إلى الإله توت رب العلوم والفنون ومخترع الكتابة، ثم شهر «بابه» وهو الشهر الثاني ونسبة إلى حابى إله النيل، وشهر «هاتور» وهو الشهر الثالث وينشق من «حتحور» البقرة المقدسة وهي إله الجمال والخصب، وشهر «كيهك» وهو الشهر الرابع، وينشق من الاسم الهيروغليفي «كاهاكا» ويعني الأفضل، وهو اسم العجل المقدس «أبيس». فضلا عن عمل المصريين القدماء أفران الخبز داخل منازلهم، والتي كانت تعمل على تدفئة المنازل بالإضافة لاستخدامهم المباخر التي كانت من جمر النار وتعطي نوعا من التدفئة، ومنازلهم جميعا



بنيت من مواد كلها طبيعية تساعد على التدفئة.

- هل المصريون القدماء لم يرتدوا ملابس شتوية؟

يقول الدكتور أحمد بدران أستاذ الاثار المصرية القديمة بجامعة القاهرة، إن قدماء المصريين في غالبية الوقت كانوا يرتدون الملابس الصيفية الكتانية البيضاء الجميلة التي تناسب جميع الظروف سواء للعمل أو للخروج أو للجلوس في المنزل، وكانت هذه الملابس تتناسب مع المناخ الصيفي الجاف لمصر في أغلب أوقات العام. وأضاف أن الفنان المصري القديم كان معتادا أن يرسم الأجداد سواء الملوك أو الكهنة أو الرعايا في المواقف المختلفة بأبهى صورة وبأجمل زينة، والملابس الصيفية تظهر الجسد ورشاقته وقوته، فكان الفنان أكثر ميلًا لتسجيل الأجداد بها. وأشار إلى أن المصري

القديم ترك لنا صورًا بملابس شتوية ثقيلة، عبارة عن سيدات يرتدين ما يشبه العباءات، وتتسم بالزوق الرفيع والصنعة الدقيقة أيضًا، فقد عرف المصري القديم بالطبع جميع أنواع الملابس في مختلف فصول العام.

ويذكر لنا عالم الآثار المصري زاهي حواس في كتابه «١٠٠ حقيقة مثيرة في حياة الفراعنة»، ان كل طبقة من طبقات الدولة قديما كانت تتميز بزي معين، فالكهنة كان يتم تمييزهم من خلال ارتداء أشياء إضافية من الجلد يضعونها فوق ملابسهم على الكتف اثناء فصل الشتاء وكانت ملابسهم طويلة مميزة عن باقي طبقات الشعب، اما الخدم والزراع كانوا يقتصرون على قطعة من القماش تستر عوراتهم فقط، وكان الأحرار من الرجال والنساء في عهد الدولة القديمة يسيرون وأجسامهم عارية من فوق السرة، مغطى ما تحتها إلى الركبة بقطعة تسمى «إزار» كان قصيرا وضيقا مصنوع من الكتان الأبيض. ثم جاءت الدولة الوسطى وجعلت الناس ترتدي إزارًا ثانيًا فوق الإزار الأول وأكبر منه، مع غطاء للصدر والكتفين.

اما عن النساء فقد نبذن ذلك الزي «إزار» نظرا لضيقه وعدم شعورهم بالراحة فقاموا بتفصيل ثوب فضفاض من اول الكتفين ويربط بمشبك تحت الثدي الأيمن ثم ظهرت الأثواب ذات الثنايا مع ضيق الأكمام وفتحتان عند العنق أمامية وخلفية مزودتان بشريطين. وفي عهد الدولة الحديثة ظهرت العديد من التصميمات الأخرى وهي: - الرداء:

عبارة عن قطعة من الكتان بطول نصف متر وعرض ٦٠ سم، تلف حول البدن باتجاه عقارب الساعة لتغطي منطقة ما بين الخصر والركبتين، وكانت نهاية القطعة الخصرية تطوى إلى الخلف لمضاعفة سمكها وتدخل القمة تحت الجزء المطوي، وتشد فوقها قطعة أخرى من القماش على البدن.



- المئزر:

ارتداه ملوك ونبلاء الدولة الوسطى نصف بشكل مضفر يلف حول البدن عكس عقارب الساعة ويشد إلى الأمام ويحفظ من الاتساخ أو التثني والكرمشة بالأصابع أثناء شده لموضعه وتعقد في وسط الحزام عقدة أنشوطية غريبة.

- الجوبلة:

قطعة قماش تلف حول الجسم بثنية كبيرة من الأمام من منطقة الحزام.

- المجول:

قطعة مستقيمة من القماش تثبت بشريط يدور حول الوسط ثم يتدلى طرقها أمامًا حتى أسفل الركبة، ويلبس معه عادة غطاء للأكتاف. وكانت الجونلة للرجال أيضًا.

الصديري:

رداء ضيق وسطه عالي ويصل إلى القدم وله لون واحد، وفي الحفلات يطرز بالزخارف ويزين بالخرز الملون.

وكانت أغلب ملابس المصريين القدماء تُصنع من الكتان وذلك لأنه يعتبر الأفضل في مصر القديمة.

ولـم تكـن هنـاك أنـواع أخـرى منتشـرة مثـل القطـن الـذى دخـل فـي عهـد محمـد علـى، أو الحريـر. أمـا الصـوف فاعتبـره القدمـاء المصريـون «نجسًـا»، كمـا امتنعـوا عـن ارتـداء الجلد لأنـه كان مأخـوذ مـن كائنـات حيـة تصيـب مرتديهـا «بالقـذارة»، واسـتطاع المصريين القدمـاء التفنـن بشـكل عـام فـي ألـوان الملابـس، مثـل صبغهـا مـن نبـات النيلـة ليعطيهـا اللـون الأزرق. وأيضًـا كانـوا متميزيـن فـي الرسـومات علـى الأزيـاء والتطريـز والنقـوش وغيرهـا. كمـا كان لديهـم خياطـون للملابـس. وكان البـلاط الملكـي مليئًـا بالكثيـر من تلك الشـخصيات، نعـرف وظائفهـم مـن نقـوش المقابـر.

وتبقـي الإجابـة هـي أن الحيـاة الفرعونيـة القديمـة والمصـورة علـي جـدران المعابـد والمقابـر، ماهـي إلا تعبيـر عـن الجانـب الدينـي المتغلغـل فـي تلـك الحيـاة القديمـة، حيـث أن الثيوقراطيـة (الجانـب الدينـي)، هـي الغالبـة والمتغلغلـة بحياتهـم. وبنظـرة أخـري نجـد المصـري القديـم مؤمـن بوجـود الجنـة فـي حيـاة الخلـود لذلـك كان معتقـد بأنـه يبعـث فـي أفضـل حـال و ظـروف

.

أما عن الاكلات الشتوية لدي القدماء المصريين:

فـكان المصريـون قديمـاً يسـتعدون إلـى فصـل الشـتاء بشـكل خـاص، ويقومـوا بتخزيـن الحبـوب التـي تدخـل فـي الوجبـات مثـل «العـدس»، «اللوبيـا»، «الفـول»، بالإضافـة إلـى القمـح، الـذى لا يسـتغنى أي بيـت مصـري عنـه، ومـن أهـم وأشـهر وجبـات الشـتاء عنـد المصرييـن قديمـاً:

- «العـدس» فهـو مـن الأكلات الشـعبية المعروفـة فـي فصـل الشـتاء، حيـث يختلـف أنواعـه وألوانـه وطـرق تحضيـره، فعُرفـت زراعتـه واسـتخدم بوفـرة كغـذاء للمصرييـن القدمـاء، وكان مـن أهـم الأغذيـة التـي تقدم كطعـام لبنـاة الأهـرام مـن العمـال والفنييـن وغيرهـم ، حيـث كان يصـرف الملـوك الفراعنـة للعمـال وجبـة غذائيـة متكاملـة مـن العـدس والبصـل والثـوم والتمـر،



وهـي توليفـة إفطـار يوميـة ، والمعـروف أن ٣٠٠ جـرام مـن العـدس تعـادل حوالـي ٥٠٠ جـرام مـن اللحـم الأحمـر، ولهـذا فهـو يشـتهر فـي الأحيـاء الشـعبية البسـيطة باسـم « لحـم الفقـراء»..

- «الفـول المدمـس» هـو أحـد الأطعمـة الشـعبية منـذ بدايـة العصـر الفرعونـي، حيـث كان يـؤكل بعـد طهيـه بواسـطة طمـره فـي تـراب الفـرن السـاخن؛ لـذا عـرف باسـم «متمـس»، ثـم حُـورت هـذه الكلمـة بعـد ذلـك إلـى «مدمـس».

ويشـاهد علـى جـدران المعابـد والمقابـر الفرعونيـة نقـوش للحاصـلات الزراعيـة التـي كانـت تقدم للإلـه آمـون، ومنهـا زكائـب الفـول، كمـا كان المصريـون القدمـاء يطهـون الفـول ويسـمونه «بيصـورو» وهـى نفسـها «البصـارة» التـي نعرفهـا الآن، ويُقبـل عليهـا عامـة المصرييـن بشـكل يومـي تقريبـا.

- «الملانـة والترمـس» ومـن بيـن البقوليـات يبـرز «الحمـص» كطعـام بعـد تمليحـه، وهـو مـا يُعـرف الآن باسـم «الملانـة»، وكذلـك الحـال مـع «الترمـس» الـذي كان يُـؤكل بعـد نقعـه فـي المـاء وتمليحـه وكانـت لـه أهميـة كبيـرة فـي كثيـر مـن الأغـراض الطبيـة لفائدتـه فـي عـلاج الإمسـاك، ومرضـى السـكري وغيـر ذلـك. كمـا أقبـل المصريـون القدمـاء علـى تنـاول اللوبيـا والبسـلة لفوائدهمـا الغذائيـة والصحيـة، لذلـك أصبحـت «البقـول» مـن الأغذيـة الرئيسـية لقدمـاء المصرييـن.

# أرمينيا والأرمن

متابعة: رباب محمد سليمان

«الأرمن في مصر» بمركز محمود سعيد للمتاحف بالإسكندرية




افتتح الدكتور وليد قانوش، رئيس قطاع الفنون التشكيلية، معرض "الأرمن في مصر" يوم السبت ٢٥ يناير ٢٠٢٥، بحضور نيافة المطران كريكور كوسا (مطران الأرمن الكاثوليك)، ونيافة المطران أشود مناتساكانيان (مطران الأرمن الأرثوذكس)، والدكتور محمد أبو الغار (أستاذ متفرغ بكلية طب القصر العيني)، والفنان هرانت كشيشيان (فنان تشكيلي وناقد فني أرمني)، والدكتور توماس جورجيسيان (كاتب صحفي)، إلى جانب عدد كبير من الفنانين التشكيليين والشخصيات البارزة.

تضمنت فعاليات المعرض ندوة افتتاحية، وافتتاح قاعة بمتحف الفن الحديث لعرض مجموعة من أعمال الفنانين المصريين الأرمن المحفوظة بمتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية. كما تم افتتاح معرض بقاعتي "أجيال ١ و٢"، حيث كان الفنان الراحل فاهان تلبيان ضيف شرف المعرض، حيث عُرضت مجموعة من أبرز أعماله الفنية.

واستمر المعرض حتى ٢٥ فبراير ٢٠٢٥، وافتتح أبوابه يوميًا من الساعة ٩ صباحًا حتى ٤ مساءً، عدا يومي الاثنين والجمعة، داعيًا الجمهور للاستمتاع بتجربة ثقافية وفنية فريدة توثق التفاعل التاريخي والإبداعي بين الأرمن والمصريين. وبدأت فعاليات معرض الأرمن بندوة افتتاحية، في تمام الساعة ٤:٣٠ مساءً، قدمها الدكتور محمد أبو الغار، أستاذ متفرغ بكلية الطب القصر العيني، وشارك بها الفنان التشكيلي الأرمني، هرانت كشيشيان، والكاتب الصحفي الدكتور توماس جورجيسيان. وافتتحت قاعة متحف الفن المصري الحديث بالمركز، وعرضت مجموعة من الأعمال الفنية للمصريين الأرمن، في تمام الساعة ٦:٣٠ مساءً.

وفي يوم السبت الموافق ١ فبراير، قدم كورال الجمعية الخيرية الأرمينية، حفل فني، على مسرح متحف الفنون الجميلة، في تمام الساعة ٦ مساءً. وختتم المعرض فعالياته، في الندوة الختامية للمعرض، يوم السبت الموافق ٢٢ فبراير، في تمام الساعة ٦ مساءً، ألقاها الدكتور جورج نوبار، عميد كلية الفنون التطبيقية بجامعة بدر، والدكتور محمد رفعت، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة دمنهور، ووائل عزب، مؤسس صفحة «حواديت الإسكندرية».

السيد أزنافور



فـي ٢٩ ينايـر ٢٠٢٥ بسـينما الزاويـة بشـارع عمـا د الديـن تـم عـرض فيلم «السـيد أزنافـور» بسـينما الزاوية ،الفيلـم مـن إخـراج مهـدي إيديـر وغرانـد كوربـس مـالاد «كلاهمـا مغنيـان أيضـًا»، مـع اختيـار طاهـر رحيـم الموهـوب، الـذي يتحـول بفضـل بعـض المكيـاج إلـى أزنافـور بـكل حركاتـه.، يتبـع العمـل السـيرة الذاتيـة للمغنـي والملحـن الفرنسـي (شـارل أزنافـور)، مـن طفولتـه الفقيـرة مـرورًا بصعـوده إلـى الشـهرة ووصولـه إلـى قمـة المجـد بالموسـيقى.

**ترشيح طاهر رحيم لجائزة سيزار**



وفـى ٣٠ ينايـر ٢٠٢٥تـم ترشـيح الممثـل طاهـر رحيـم، الـذي رشـح مرتيـن لجوائـز جولـدن جلـوب وبافتـا، لجائـزة سـيزار فـي فئـة أفضـل ممثـل عـن تجسـيده لشـخصية الفنـان الأرمني-الفرنسـي الكبيـر شـارل أزنافـور فـي فيلـم «السـيد أزنافـور» الـذي يحكـي قصـة حيـاة وعمـل شـارل أزنافـور، يقـدم حيـاة أزنافـور منـذ خطواتـه الأولـى نحـو الشـهرة العالميـة. هـذه قصـة عـن شـغفه بالموسـيقى وإرادتـه التـي لا تقهـر والعمـل الجـاد وكيـف تغلـب علـى العديـد مـن الصعوبـات وتـرك بصمـة مهمـة فـي عالـم الموسـيقى بموهبتـه الفريـدة.

**مشربية حياتي في معرض الكتاب**




وفى ١ فبراير ٢٠٢٥صدر حديثا عن دار الشروق في معرض القاهرة للكتاب ٢٠٢٥، كتاب «إنها مشربية حياتي» - تأليف: توماس جورجيسيان

**الفلكلور الأرمني والمصري بجامعة القاهرة**

وكان يوم ٥ فبراير ٢٠٢٥ يوماً ثقافياً فريداً من نوعه للفلكلور الارمني و المصري بمركز الدراسات الأرمنية بجامعة القاهرة يوم الاربعاء ٥ فبراير

**سفير أرمينيا بالقاهرة يلتقى مع الأمين العام لجامعة الدول العربية**



و ناقـش الجانبـان خـلال اللقـاء المنعقـد فـي ٥ فبرايـر ٢٠٢٥، مسـار التعـاون بيـن أرمينيـا وجامعـة الـدول العربيـة وأكـدا علـى ضـرورة تعميـق وتطويـر الاتصـالات .وأطلـع السـفير محـاوره علـى العمـل الجـارى نحـو تطبيـع العلاقـات الأرمنية-الأذربيجانيـة والأرمنية-التركيـة، وقـدم تفاصيـل مشـروع "مفتـرق طـرق السـلام" الـذى طورتـه حكومـة أرمينيـا.

مشربية حياتي بدار الشروق

نظمـت دار الشـروق، الأثنيـن ١٠ فبرايـر ٢٠٢٥ حفـل إطـلاق كتـاب «إنهـا مشـربية حياتـى» للكاتـب الصحفـى تومـاس جورجيسـيان، وذلـك بمبنـى قنصليـة بوسـط البلـد، وحـاوره كل مـن الدكتـور محمـد أبـو الغـار والناقـد محمـود عبـد الشـكور.

حضـر حفـل الإطـلاق المهنـدس إبراهيـم المعلـم رئيـس مجلـس إدارة الشـروق، أميـرة أبـو المجـد العضـو المنتـدب بـدار الشـروق، الدكتـور عمـاد أبـو غـازى وزيـر الثقافـة الأسـبق، السـفيرة ليلـى بهـاء الديـن،

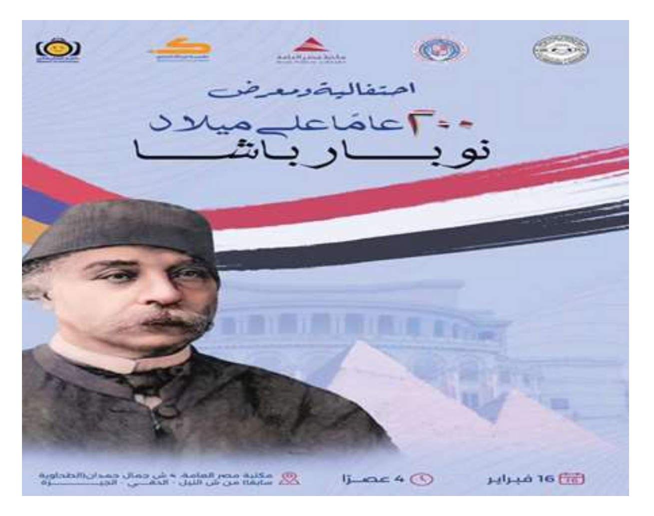
الكاتبة والروائية رشا عدلى، الكاتبة فيمونى عكاشة، الكاتبة والروائية رضوى الأسود، الكاتبة هناء متولى، الكاتب الصحفى إيهاب مصطفى، الشاعر زين العابدين فؤاد، نانسى حبيب مسئول النشر بدار الشروق، عمرو عز الدين مسئول التسويق بالدار، ومجموعة كبيرة من الكتاب والصحفيين والقراء.
وجه الكاتب الصحفى توماس جورجيسيان الشكر لدار الشروق، وكل العاملين بها على إصدار أحدث كتبه «إنها مشربية حياتى»، قائلا: «الكتاب هو مجموعة ذكرياتى وأحلامى معا، وبشكل أو بآخر هو علاقتى بمصر وبمصريته، وعلاقتى بأرمينيتى».
وأوضح أنه استمتع بكتابة الكتب، وكانت عبارة ماركيز الخالدة «عشت لأحكى» هى المحركة له فى الكتابة، مضيفًا أنه قد جمع بين الطبطبة الأرمينية والفضفضة المصرية، فى مزيج مغاير.
وأشار إلى أنه مهتم للغاية بأدق التفاصيل عن جميع الحكايات وجميع الموضوعات التى يتعاطى معها مركزا على أبسط الأشياء التى من الممكن ملاحظتها والتفكير فيها والحديث عنها، وأكمل أنه أحب أيضا أن يحكى فى الكتاب حكاية أسرته مع مصر وقصة قدومهم إليها، وذلك فى صفحات الكتاب الذى أكد أنه تحدث فيه عن نفسه بشكل كبير بكل ما مر به وأراد حكيه عن توماس نفسه كما هو.
وتحدث توماس جورجيسيان عن أمه واصفًا دورها المحورى فى حياته، وأن دور أمه كان كبيرا للغاية فى حياته، مثل أبيه، ولكنها كانت أكثر فعالية وتحدث عن أبيه الصامت، وأضاف أنه أهدى الكتاب لأمه وأبيه، وعاد ليصف صمت أباه الكبير والذى سيطر عليه معظم الوقت بأنه كان صامتا أكثر من أمه بكثير، وذلك لما رآه فى طفولته من مذابح الأرمن الكبيرة قبل قدومه لمصر والتي كانت سببا فى قدومه من الأساس، ذلك الجيل من الأرمن الذى يضم أباه يسمى بالجيل الذى بلا طفولة لما عايشوه فى المذابح وللهروب من بلدانهم والفرار من الموت بلا أى شىء أو حتى أوراق رسمية تثبت من هم، وأبيه كان واحدا من هؤلاء.
وتابع توماس الحديث عن فصول الكتاب المختلفة فتناول فصل علاقته بالصحفيين والكتاب والفنانين الكبار أمثال يحيى حقى، والذى وصف حضوره فى حياته بأن له أكثر من طبقة، مؤكدا أنه استمتع بكونه فى حضرة الكبار من الكتاب والصحفيين والفنانين العديدين فى حياته، أمثال أحمد بهاء الدين، وإحسان عبد القدوس، وغيرهما.
وتحدث توماس أيضا عن الفصل الذى تحدث فيه عن واشنطن التى عاش بها الخاصة به هو وليست أى واشنطن أخرى، مؤكدا لمعاصرته العديد من الأحداث هناك، ومنها علاقات الحكام العرب بالبيت الأبيض، وزيارتهم لها وغيرها الكثير، مضيفا أن حياته فى أمريكا قد أثرت عليه كثيرا، وعلى رؤيته للأمور إضافة للتأثير فى كتابته، وذلك ليس من منظور المنبهر أو المحب لأمريكا، ولكن من منظور التفكر فى الأمور.
وتناول الدكتور محمد أبو الغار العلاقة المميزة التى تربطه بتوماس جورجيسيان وخاصة فى فترة كتابة «إنها مشربية حياتى»، موضحا أن توماس كان يتحدث معه كثيرا حول الكتاب وحول تفاصيل الحكايات التى سيتضمنها الكتاب، وكانت هذه الأحاديث بينهما يومية.
وأضاف أبو الغار :«تواصلت مع توماس جورجيسيان عبر الفيديو لمدة خمس مرات فى الأسبوع، وذهبت إليه فى واشنطن، ومن هنا كان يحكى لى الكتاب يومًا بعد يوم».
فيما قال الكاتب والناقد محمود عبد الشكور أن عنوان الكتاب «إنها مشربية حياتي» هو عنوان آسر للغاية ومميز ولافت للنظر كما، تطرق عبد الشكور للعنوان الفرعى للكتاب «العاشق والمعشوق» مؤكدا فكرة تميز العنوان والذى يرتبط بالمشربية بشكل حقيقى وعملى، وشرح لذلك بنوع من الاستفاضة.
وأضاف أن توماس جورجيسيان حكاء عظيم للغاية عندما يتكلم، وتحب أن تستمع له، وعندما كتب صار أيضا حكاءً بارعا فى قول ما يريد.
وتابع عبد الشكور بخصوص الأرمن واصفاً الأرمن بالحالة الخاصة فى تاريخ الشعوب، مؤكدا أنه فى كل مكان ذهبوا إليه أضافوا إليه، وفى الثقافة والفنون خاصة، موضحا أنه وفى الحالة المصرية أضافوا كثيرا وبشكل فريد فى المكون المصرى.

## إطلاق عملية عضوية جمهورية أرمينيا للاتحاد الأوروبي»



اعتمد البرلمان الأرمني مشروع القانون «بشأن إطلاق عملية عضوية جمهورية أرمينيا في الاتحاد الأوروبي» في القراءة الأولى في جلستها المنعقدة في ١٢ فبراير٢٠٢٥ ، وصوّت ٦٣ نائباً لصالح المشروع و٧ ضده. وفي وقت سابق، أعلن رئيس كتلة «باديف أونيم» هايك ماميجانيان أنهم سيصوتون ضد المشروع، فيما أعلن رئيس كتلة «هاياستان» سيران أوهانيان أن الكتلة لن تشارك في التصويت. وأعلن رئيس كتلة «العقد المدني» هايك كونجوريان أن كتلته ستصوت لصالح مشروع القانون. وبدأت الجمعية الوطنية مناقشات حول مشروع القانون الخاص ببدء عملية عضوية أرمينيا في الاتحاد الأوروبي في الحادي عشر من فبراير، وتمّ تقديم المشروع من قبل مبادرة «يوروفوت» المدنية بجمع التوقيعات اللازمة لتقديم مبادرة تشريعية إلى الجمعية الوطنية ضمن الموعد النهائي المحدد وتمكنت المبادرة من جمع ٦٠ ألف توقيع، بدلاً من الخمسين ألف توقيع المطلوبة. وفي ٩ يناير ،تمت مناقشة مشروع القانون والموافقة عليه في جلسة للحكومة في جمهورية أرمينيا، وبعد ذلك تم إرساله إلى البرلمان لمناقشته وتتضمن النسخة النهائية للقانون التي وافقت عليها لجنة التكامل الأوروبي المحتوى التالي: «إن جمهورية أرمينيا تعبيراً عن إرادة شعب جمهورية أرمينيا وتحديداً لمهمة جعل جمهورية أرمينيا بلداً آمناً ومتطوراً ومزدهراً تعلن عن بدء عملية انضمام جمهورية أرمينيا إلى الاتحاد الأوروبي.»

## ٢٠٠ عام على ميلاد نوبار باشا




افتتح السفير رضا الطايفي، مدير صندوق مكتبات مصر العامة، والسفير أرمين ساركيسيان سفير جمهورية أرمينيا بالقاهرة في ١٦ فبراير ٢٠٢٥، احتفالية ومعرض ٢٠٠ عام على ميلاد نوبار باشا، التي أقيمت بالمكتبة.

جاء ذلك بحضور الدكتور جورج نوبار رئيس جمعية القاهرة الأرمنية الخيرية، والدكتور محمد عبدالسلام، والدكتور عادل مصطفى ممثلين عن كلية الفنون الجميلة بجامعة الإسكندرية، ورانيا شرعان، مدير مكتبة مصر العامة الرئيسية بالدقي، بدأت الاحتفالية بتفقد معرض البورتريه الكاريكاتيري بالروف المخصص لذلك بالدور الثالث بالمكتبة، الذي نظمته مبادرة الكاريكاتير للجميع، التابعة لمؤسسة عبدالله الصاوي للحفاظ على تراث الكاريكاتير المصري، بالتعاون مع كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية، بمشاركة ٤٠ طالبًا وطالبة.

وحرص سفير أرمينيا والسفير رضا الطايفي، والمرافقين لهما على مشاهدة كل لوحات المعرض ومناقشة الطلاب المشاركين في أفكار لوحاتهم وما يعرفونه عن نوبار باشا، وفي الختام تم تكريم الفائزين بالمراكز العشرة الأولى بالمسابقة، وتوزيع شهادات التقدير والمشاركة عليهم، والتقاط مجموعة من الصور التذكارية.

ثم توجه الحضور لقاعة الندوات لحضور ندوة عن

نوبار باشا، بدأت الندوة بعزف السلام الجمهوري لمصر وأرمينيا، ثم كلمة السفير: رضا الطايفي مدير صندوق مكتبات مصر العامة، والتي رحب فيها بالحضور، واستعرض بشكلٍ موجز أهم المحطات في حياة نوبار باشا، مؤكدًا على ما قدمه نوبار باشا لمصر في كافة المناصب التي عمل بها.

وأشار الدكتور جورج نوبار رئيس مجلس إدارة جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، بعد أن وجه الشكر للحضور، إلى المشروعات التي دعمتها الجمعية على مدار أكثر من عشرين عامًا، لجمع وفهرسة وطباعة، كل ما نشر عن الأرمن في الصحافة المصرية والعربية، حيث نجح فريق العمل برئاسة عميد الدراسات الأرمنية في مصر والعالم العربي الأستاذ الدكتور محمد رفعت الإمام، في جمع أكثر من ٣٦ ألف لقطة من أرشيف الدوريات بدار الكتب والوثائق القومية.

وقدم الباحث عبدالله الصاوي، في كلمته عرض مصور لكتبه التي صدرت بدعم من جمعية القاهرة الخيرية الأرمينية العامة، والتي بدأت بكتاب: صاروخان.. البدايات المجهولة عام ٢٠١٩، وصولًا إلى كتابه الثاني عن صاروخان والصادر عن الجمعية أيضًا في عام ٢٠٢٣ تحت عنوان: صاروخان.. بورتريهات الإسكندرية.

وأشاد الأستاذ الدكتور محمد رفعت الإمام، بما قدمه نوبار باشا من إصلاحات في عدة مجالات لعل أهمها مجال الزراعة، لدرجة أن الفلاحين المصريين منحوه لقب «أبو الفلاح» وهو اللقب الذي كان يعتز به نوبار باشا كثيرًا حتى وفاته. وواصل د. الإمام إشادته بالأعمال الكاريكاتورية التي أبدعتها ريشة طلاب كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية، وأعتبرها عمل جاد وجديد يحسب لكل القائمين عليه.

و تناول الأستاذ الدكتور أحمد جلال بسيوني، بشكلٍ موجز ومبسط لاقى استحسان الحضور، عرض مذكرات نوبار باشا التي ترجمها المترجم المصري ذو الأصول الأرمينية: جارو طبقيان، وصدرت عن دار الشروق عام ٢٠٠٩، مؤكدًا على ذكاء نوبار، الذي استطاع أن يتولى العديد من المناصب في عهد ٧ حكام من أسرة محمد علي، وفي ختام كلمته أشاد بالمجهود الكبير والمتميز الذي قام به المترجم ليقدم لنا هذه المذكرات التي وثقت لنا العديد من الجوانب الإنسانية لأسرة محمد علي باشا، الذين عاصرهم وعمل معهم نوبار باشا، تلك الجوانب المهمة التي لا يستطيع الباحث الوقوف عليها من خلال الوثائق الرسمية الجافة.

وفي ختام الندوة قدم الباحث: أحمد إنبيوة، عرضًا موجزًا، لأحدث كتب جارو طبقيان: نوبار باشا خادم مصر الكبير، الصادر عن جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة٢٠٢٤، وأكد إنبيوة على أهمية الكتاب الذي يعتبر مكملًا للجزء الأول من مذكرات نوبار الصادرة عن دار الشروق عام ٢٠٠٩. كما قام سفير أرمينيا بمصر والأستاذ الدكتور: جورج نوبار، بتكريم المترجم: جارو طبقيان والأستاذة الدكتورة: نيفين غريب والأستاذ الدكتور: محمد عبدالسلام، والدكتور عادل مصطفى.

### أرمينيا تحرز الميدالية الذهبية في الجمباز




في ٢٢ فبراير ٢٠٢٥ فاز عضو منتخب أرمينيا للجمباز فاهاكن دافتيان بالميدالية الذهبية في المرحلة الأولى من بطولة العالم للجمباز. دافتيان، في نهائي تمرين الحلقات لبطولة العالم في كوتبوس بألمانيا، حصل على المركز الأول بعد أن جمع ١٤,١٣٣ نقطة وفي هذه الفئة، احتل الممثل الآخر للمنتخب الأرمني، آرتور أفيتيسيان، المركز الرابع. وفي وقت سابق، قدّم هامليت مانوكيان ومامیکون خاتشاتوريان أداءً في تمرين حصان الحلق، لكنهما لم يحصلا على أي جوائز.

### لقاء ساركسيان وعبد الصادق



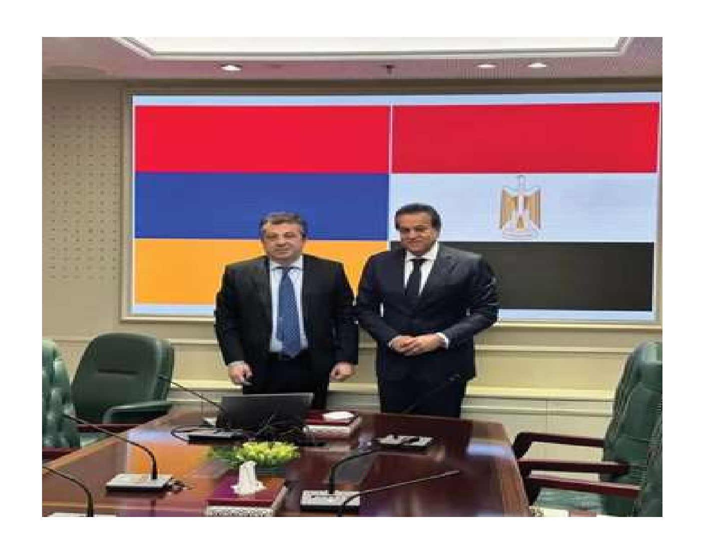
في ٢٥ فبراير، التقى سفير جمهورية أرمينيا لدى مصر أرمين ساركسيان برئيس جامعة القاهرة الأستاذ الدكتور محمد سامي عبدالصادق. وخلال اللقاء ناقش الجانبان المسار الحالي للتعاون بين أرمينيا ومصر في المجال الأكاديمي وتطرقا إلى آفاق توسع وتعميق العلاقات بين جامعة القاهرة وجامعة يريفان الحكومية. وأكد الجانبان على ضرورة تفعيل الزيارات المتبادلة وتنفيذ المشاريع العلمية والتعليمية المشتركة. وفي نفس اليوم، زار السفير أرمين ساركسيان مركز الدراسات الأرمنية بجامعة القاهرة، وتعرف على ظروف المركز والعملية التعليمية فيه، والتقى بالأساتذة.
وكان في استقبال معالي السفير والقنصل كل من الأستاذة الدكتورة دينا فتحي عبد الهادي، وكيلة الكلية لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة، والدكتورة خلود يعقوب، مديرة مركز الدراسات الأرمنية، والأستاذة أرمينة هاكوبيان الأستاذة بمركز الدراسات الأرمينية.

### أزنافور في مكتبة الإسكندرية




في إطار احتفالات شهر الفرانكوفونية ، أقيم حفل غنائي و أمسية ثقافية بمكتبة الاسكندرية يوم ٢٧ فبراير، وتضمن الحفل فقرة غنائية بمناسبة الذكرى المئوية للمغني الأرمني العالمي شارل أزنافور، اداء موسيقي و غناء ميشيل عزت.

### لقاء سركسيان وعبد الغفار



التقي سفير جمهورية أرمينيا لدى مصر أرمين سركيسيان، بنائب رئيس الوزراء للتنمية البشرية ، وزير الصحة والسكان المصري معالي الدكتور خالد عبد الغفار في ٤ مارس ٢٠٢٥. ناقش الطرفان خلال الاجتماع الوضع الحالي للتعاون بين جمهورية أرمينيا وجمهورية مصر العربية في مختلف المجالات الصحية وآفاق المزيد من التطوير. وأكد الجانبان على المتطلبات الأساسية القائمة لمزيد من التوسع وتعميق التعاون القطاعي بين أرمينيا ومصر والإمكانات الكبيرة التي لا تزال غير مستغلة.

**صاروخان علي صفحات الأهرام**



فـي ذكري حـرب رمضـان المجيـدة ، صفحـة خاصـة عـن فنـان الكاريكاتيـر المصـري الأرمنـي صاروخـان فـي جريـدة الأهـرام يـوم الجمعـة ٧ مـارس ٢٠٢٥

أرمينيـا تحصـل علـى جائـزة «أفضـل وجهـة للسياحة المغامـرة» فـي إطـار معـرض أي تـي بـي برليـن

أقيمت جوائـز باتـوا الدوليـة للسياحة في إطـار معرض أي تـي بـي برليـن ٢٠٢٥ الدولـي، حيث تـم الاعتـراف بأرمينيـا باعتبارهـا الفائـزة فـي فئـة «أفضـل وجهـة للسياحة المغامـرة».

ترحيب أوربي بشأن السلام بين أرمينيا وأذربيجان

وفـى ١٤ مـارس ٢٠٢٥ رحـب الاتحـاد الأوروبي بإعلان أرمينيـا وأذربيجـان عن انتهـاء المفاوضـات بشـأن اتفاق السـلام وأصـدر الاتحـاد الأوروبـي بيانـاً بهـذا الشـأن: «يرحـب الاتحـاد الأوروبـي بالتصريحـات الصـادرة عـن أرمينيـا وأذربيجـان بشـأن اختتـام المفاوضـات بشـأن مشـروع اتفاقيـة السـلام وتطبيـع العلاقـات بيـن الدولتيـن.

الجامعة الأمريكية تحتفل بإعادة افتتاح الحجرة الأرمنية فى مهرجان الثقافة

فـى رحـاب النسـخة الثانيـة مـن مهرجـان الجامعـة الأمريكيـة بالقاهـرة الثقافـي السـنوي مـن الخميـس ١٠ أبريـل حتـى السـبت ١٢ أبريـل ٢٠٢٥، فـي حـرم الجامعة التاريخـي بميدان التحرير



وخـلال فعاليـات مهرجـان الجامعـة الأمريكيـة للثقافـة، افتتحـت الحجـرة الأرمنيـة بعـد انتهـاء ترميمهـا، وإعـادة إحيـاء حروفهـا مـرة أخـرى بعـد الترميـم، بمشـاركة المطـران كريكـور أوغسـطينوس أسـقف أبرشـية الأسـكندرية للأرمـن الكاثوليـك، الأسـقف آشـود مناتسـاكانيان مطـران الأرمـن الأرثوذوكـس بمصر،والسـفير أرميـن ساركيسـيان، سـفير جمهوريـة أرمينيـا لـدى مصـر، الدكتـور محمـد رفعـت الإمـام أسـتاذ التاريـخ الحديـث والمعاصـر فـي جامعـة دمنهـور وعـدد مـن أبنـاء الجاليـة الأرمنيـة.

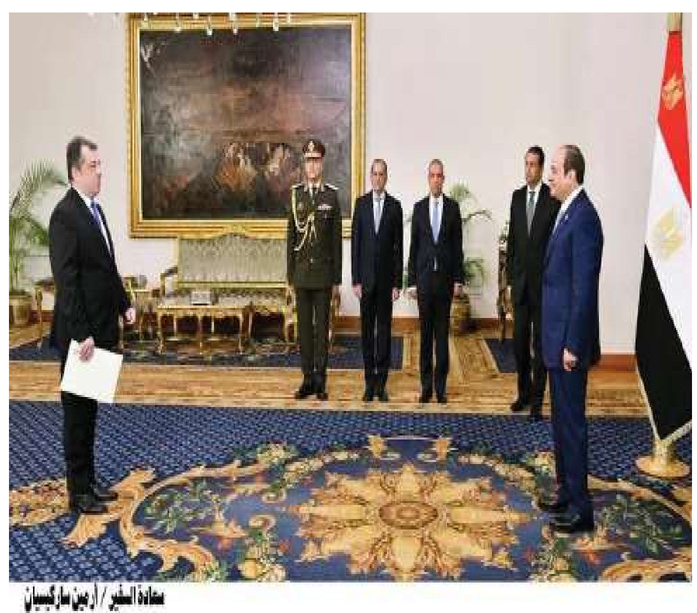


وأشـارت اسـبيه جيزمجيـان، الفائـزة بمسـابقة إعـادة ترميـم الأبجديـة الأرمنيـة، إلـى أن مـا شـجعها للمشـاركة فـي مسـابقة إعـادة ترميـم الأبجديـة الأرمنيـة والتـى كانـت قـد أطلقتهـا الجامعـة الأمريكيـة، هـو الترابـط بيـن المجتمـع الأرمنـي والشـعب المصـرى منـذ اسـتضافة واحتضـان مصـر للأرمـن الفاريـن مـن المذابـح العثمانيـة عقـب الحـرب العالميـة الأولـى، مضيفـه أنهـا مزجـت فـي تصميمهـا بيـن الثقافتيـن الأرمنيـة والمصريـة داخـل نسـيج واحـد يعبـر عـن العلاقـة بيـن الأرمـن والشـعب المصـري.



وعلى هامش الافتتاح، عرض الفيلم الوثائقي «أبجدية ماشتوتس» رؤية وإخراج محمد مندور، والذي يتناول رحلة ابتكار الحروف الأبجدية الأرمينية على يد الراهب ميسروب ماشتوتس منذ القرن الرابع الميلادي وكيفية استمرارها حتى الآن. وتعد اللغة الأرمنية من اللغات القديمة الحية التي ما زالت منتشرة في دولة أرمينيا وبين جاليات الأرمن في المهجر بمختلف دول العالم، فقد حافظت اللغة على هوية الأرمن على مر القرون. واستعرض الفيلم أسرار الأبجدية الأرمنية، والتواصل اللغوي بينها وبين اللغات القديمة، فضلا عن استخدام الحروف كأرقام. كما يأخذنا الفيلم الوثائقي « أبجدية ماشتوتس » في رحلة لأشهر معالم أرمينيا التي انتشرت بها الكتابات الأرمنية مثل الكنائس ودار المخطوطات القديمة المعروفة باسم «الماتينادران « والنصب التذكاري للأحرف الأرمنية وغيرها من معالم.

## السفارة الأرمنية فى مصر






# وادعاً لوسي كاسبيان

## ( ١٩٨٥-٢٠٢٥)



# الأرمن في الجامعة الأمريكية بالقاهرة

## أبريل ٢٠٢٥




HANDS-ON CULTURAL FUN

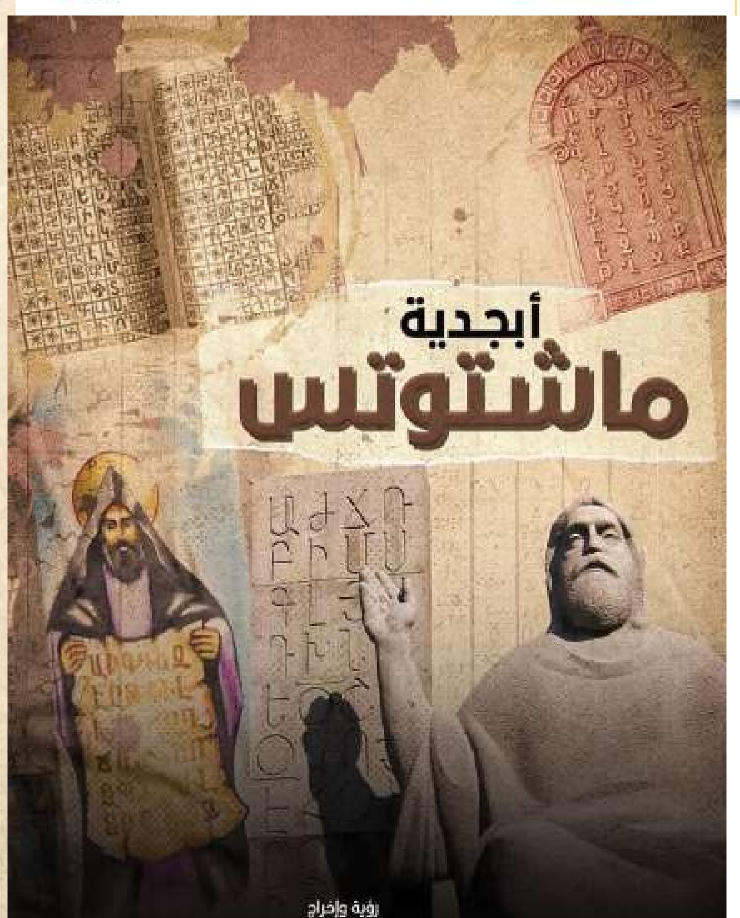


## Armenian Room Alphabet Reveal




12:00 pm - 10:00 pm
Armenian Room

Step into the historic Armenian Room to see the newly redesigned 38 Armenian alphabet letters. The room also showcases the first




AUC Tahrir 2025 CultureFest

## Armenian Room Alphabet Reveal




12:00 pm - 10:00 pm
Armenian Room

Step into the historic Armenian Room to see the newly redesigned 38 Armenian alphabet letters. The room also showcases the first recorded Armenian proverb as a tribute to Armenian heritage and Cairo's community. As part of the experience, Mohamed Mandour's documentary *The Mashtots Alphabet* will be screened throughout the weekend in the Armenian Room. It explores the 4th-